الرمـــال

مصطلحات الرمال

هناك كـلمات درجت عـلى ألسنة الناس لوصف المظاهر الرملية، وقد يكون لبعضها أصل ممتـد في التراث العربي، ومنها:

البرقة: وهـي وصف للأرض التي يغلب على لونها البياض ويخالط رملها خشونة ومثلها الأبرق، وجمعها براق.

والمواضع التي بهذه الصفة كثـيرة وكثيراً ما تضاف إلى مواضع مشهورة مثل: براق سلمى الواردة في قول المفضل النكري:

صـبـحنـا عـامـراً ببـراق سـلـمى
طـعـانـا مـثـل أفـواه المـزاد

وبراق غضور مـوضع كان فيه يوم من أيام العرب ولا يزال معروفاً (الجاسر ١٣٩٩، ج١: ١٧٧).

جرعاء – نفود المظهور

الجَرْعَاء (جمعها جرعاوات): الرمل الملامس للأرض المنبت للعشب والعاذر والعرفج والحمض وغيره.

الجلد: ومؤنثها الجلدة وهي الأرض الواسعة السهلة المسالك وأرضها صلبة، وهناك موضع بالربع الخالي في نصفه الغربي يسمى الجلدة لا رمال فيه إلا عرق رملي واحد يقسمها إلى نصفين جنوبي وشمالي يسمى قاسم.

الحاسد: فيما تعارف عليه سكان المناطق الرملية جمعه حواسيد وهناك من يسميها مطبات السِّكِن «أي الجن» وهو عبارة عن تجمع رملي بارتفاع يصل ارتفاع بعضها إلى نصف متر. وقد تمتد إلى خمسين متراً، تتكون على ظهور العروق وكأنها جسم مصغر للعروق، ولا تكون إلا في الجهة التي تهب منها الرياح في الصياهد ذات الرمال الخشنة، وعادة ما تكون متعددة مما يؤدي إلى تضرر السيارات التي قد تتعرض لها بصورة فجائية.

الحاوي: فيما تعارف عليه سكان المناطق الرملية منخفض في وسط العرق يحيط به رأس العرق كقوس هلالي الشكل وهو أوسع من الحقنة (الهوته).

الحُبُك: الحَبْك الشد، وقد حبَّكْتُ العقدة أي وثقتها. وحُبُك جمع حِبَاك، وحُبُك الرمل: حروفه وأسناده، واحدها حِبَاك. والحروف هي كثبان الرمل الكبيرة، والأسناد منحدرات الكثبان. وفي شمال الرُّبْع الخَالِي منطقة تسمَّى الحِبَاكَة.

الحِقْف (الأَحقاف، الحُقوف): الحقف هو ما اعوج من الرمل واستطال. ويبدو أن المقصود بهذه التسمية تلك العروق الرملية الحلزونية الشكل، الناتجة عن استطالة أحد أطراف كثيب هلالي نتيجة لاختلاف في اتجاه هبوب الرياح والتحامه بطرف كثيب هلالي متقدم وهكذا، مما يؤدي إلى ظهور مجموعات من الكثبان الحلزونية قد تمتد عدة كيلو مترات. ويسود هذا النوع من الكثبان جنوب الربع الخالي بصفة خاصة. وتعتبر الرياح الشمالية والشمالية الشرقية والجنوبية الشرقية هي المسؤولة عن تكوين هذه الأشكال. وتسمى تلك المنطقة الأحقاف. وقيل الحِقْف من الرمل المعوَّج. والأَحْقَاف رمال بظاهر بلاد اليمن. والحقف عند بعض ساكني المناطق الجبلية هو أعلى جزء من الجبل أو الهضبة إذا كان له ظله.

الحقنة والهوتة والقرويطة: مصطلح محلي يطلق على الحفرة العميقة الضيقة يحيط بها الهيال على شكل هلال من

حقنة (الهوتة – القرويطة)

جهة ومن الجهات الأخرى رمل مرتفع وهذا في الدهناء والربع الخالي، وإذا كان الهيال في أرض مستوية صلبة ولا شيء يغلق فتحة الهلال فيسمى محوى.

الحورني: عند العامة هي كثبان رملية صغيرة، متداخلة مثل الحوايا إلا أنها أصغر منها وهي امتدادات رملية صغيرة تتكون بفعل الهواء على الصياهد في المناطق الرملية وهناك من يسميها الرباضة وعادة ما تكون في نهاية الأودية التي تنتهي في مناطق رملية مثل وادي رنية ووادي نجران–وهناك من يسميها المريرا.

الخب: وهو أرض منخفضة بين كثيبين أو أكثر من الرمال، تحجز الخب بينها، وأرضه قليلة الرمال. وقد تبدو أرض الخب الصلبة ظاهرة للعيان، أو قد تكون مكسوة بالحصباء، وتستغل هذه الخبوب–عادةً–في الزراعة لقرب الماء من السطح، لأن الرمال المحيطة بالخب تمتص كل قطرة مطر تنزل عليها وترشحها إلى طبقة المياه الجوفية السطحية، ويستفيد منها المزارع. ومن أمثلة هذه الخبوب خبوب بريدة (الوليعي ١٤١٠: ٤٦-٤٧).

الخل أو الدرب: الخل هو الطريق النافذ بين الرمال المتراكمة، وسمي خلا لأنه يتخلل أي ينفذ. وقيل الخلُّ الطريق بين الرملتين، وقيل هو الطريق في الرمل أياً كان، والجمع: أخل وخلال. وفي بعض المناطق إذا كان الطريق الذي

خل الدويحرة بالشماسية

يقطع العرق متطاولاً مع امتداده فهو الفلخ أو الساروق وهو أضيق من الفلخ، أما الفزر فهو الطريق الذي يفصل العرق مع منتصفه ويقطعه عرضاً لا اعوجاج فيه.

الدبة: قوز ظهره خشن نوعاً، ينبت المرعى، أي ليس رملاً سائباً.

الدَّعَث: هو منطقة من الأرض ذات رمل قليل وهي تشبه أرض العثامير لكن الشجيرات فيها قليلة غير متشابكة، كما تميل الأرض فيها إلى الانبساط وتخلو من النتوءات التي تميز أرض العثامير، فهي وسط بين الأرض العثمورية والصَّيْهَد. وقيل إن الدَّعَث هو تدقيقك التراب على وجه الأرض بالقدم أو باليد، أو غير ذلك تدعثه دعثاً. وكل شيء وطيء عليه فقد اندعث.

الدماث: مفردها دمث وهي الأرض التي اختلط ترابها بالرمل فأصبحت لينة سهلة.

الدِّهاس: ما كان من الرمل لا ينبت شيئاً وتغيب فيه القوائم. وقال الأصمعي: الدهاس كل ليِّن لا يبلغ أن يكون رملاً وليس بتراب ولا طين.

الدو: الأرض الواسعة المستوية، وقد تطلق عليها البادية التختخ. قال شيبان بن قويد:

أحد الخلول في نفود الثويرات

يازين داهومهن عافيهن الذاري
في تختخٍ خاليٍ جر العوى ذيبه

كما يطلق عليه الريداء. وفي ذلك يقول عبدالله بن سبيل:

وراحوا مع الرّيدا وساع الأطاريف
يذكر لهمْ مَنْدىً شبيعٍ يبونه

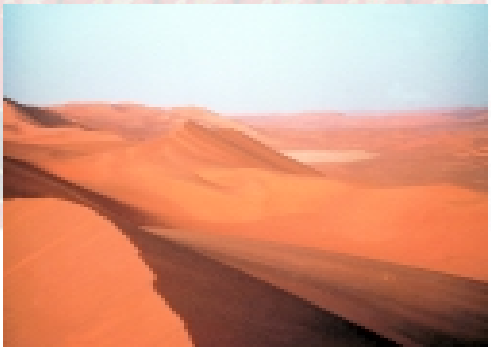

صورة جوية لعروق بني معارض

الذالق: هو قمة التل الرملي، وهو يشبه اللسان أو السيف الذي يمثل ذروة الكثيب الرملي أو الطعس بين اللهد والظهر، ويكون الذالق عادة ذا شكل حاد؛ ولذلك يشبه أحياناً بالسيف لدقته نتيجة لاستمرار تشكيله بالرياح فيسمى سيف العرق، وهو من المناظر الخلابة في المناطق الرملية (الوليعي ١٤١٠: ٤٧-٤٨).

الشقيقة: وهي كل منخفض بين حبلين من حبال الرمل، تنقاد على طولهما ما انقادا وهي خالية من الرمل، وربما استنقع فيها الماء وتدعى النواصف. ومصطلح الشقائق ما يزال يستخدم في الربع الخالي واستبدل في الدهناء بلفظ

النواصف والشقائق (الخبة)

الخبّة والجنـدلية، وفي المنطـقة الجنوبية شُقّه، وفـي حائل الفـلق وفي المنطـقة الجنوبية يفرقون بين الشقة والخبة بقولهم إن الخبة هـي التي تلتـقي فيها قـاعدتا العرقين الرمليين فـهي أضيق من الشقة بكثير. وأرضها جميعها رملية وقد تسمى أيضاً خابية ومنـدسة، وإذا قعرت الخبة أو الخابيـة وأصبحت مستـديرة الشكل والرمال تحيط بها من كل جانب فتسمى مداره.

الناصف والشقائق (الخبة)

الصباب: ويقصد به سفح الكثـيب الذي تصـب عليه الـرمال المنقولـة من الكساح، وهي عادة في ظل الرياح.

الصيهد: الأرض شبـه المستوية بها الرمال الخشنة المتموجة الثابتة، والصيهد القاع المطمئن يصهد فيه الحر، أو الأرض الرملية التي تنخفض عن جبال الرمل. ويلاحـظ خلو الصـيهد مـن الأشجار ولكنها تتحول في أيام الربيع إلى بساط

صيهد بعروق السياريات

أخضر من النباتات الحولية ولذلك يقصدها الرعاة.

الضاحي: هو حبل الرمل يكون قريباً من بلدة فهو لها ضاحية ومن الرمال القريبة من البلدان التي يطلق عليها الضاحي:

ضاحي القصب وهو جانب من رمل عريق البلدان وعناه حميدان الشويعر بقوله:

انا من قوم تجرتهم
ارطى الضاحي ودوى الغيره

وضاحي الزلفي ويصغر فيقال له الضويحي وهو شرق الزلفي ينطلق من رمل الثويرات متجهاً جنوباً نحو جبل مجزل.

وضاحي الدلم وهو رمل منقاد من الشمال إلى الجنوب من بلدة نعجان إلى خفس دغره.

الطعس: عند المعاصرين هو الكثيب المجتمع من الرمل وأصله كلمة دعص العربية التي تحمل نفس المعنى قال سليمان الطويل:

والردف طعسٍ نابيٍ ما وطي به
غب المطر شمس العصير اشرقت به

ومثله الطعموس كلاهما شكل من أشكال الكثبان الرملية، في كل منهما الظَهَر واللَّهَد. فظَهَر الطعموس هو جزء الكثبان المعرض للرياح، بينما يقع اللَّهد ذو الانحدار الشديد في الجانب الآخر

الطِّعس

المحمي من الرياح، ودائماً ما يذري الذَّالِق الرياح المتحركة لمنطقة اللهد. والدِّعْص قور من الرمل مجتمع، والجمع أدعاص ودِعَصَة، وهو أقل من الحقف.

الطُّغَيْيِسَات: واحدها طغييس وهي كتل الرمل المتقاربة تبعد عن جمهور الرمل.

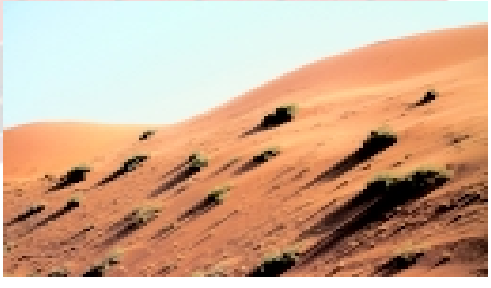

الظهر

الظهر: هو جانب الطعس المواجه للرياح، ويكون انحداره تدريجياً ولهذا يسهل اجتيازه على الإنسان والحيوان وفيه عادة غطاء نباتي يساعد على وجود مراعٍ ممتازة في أيام الربيع.

العثمور: تتكون العثامير عادة في مناطق الصفراوات حيث يقل الرمل وتنبت بعض الشجيرات المتشابكة أو الحجارة، وعند هبوب الرياح تحمل ذرات الرمال التي يتم إرسابها بعد اصطدامها بأي عائق أمامها في الجهة المعاكسة لاتجاه الرياح لأنها تعتبر منطقة ركود. وفي بعض الأحيان تتطور هذه العثاميـر إذا توافر الرمل بكثرة إلى ما

مجموعة من العثامير وقد تحولت إلى كثبان هلالية صغيرة –سدير

يدعى بالكثبان الهلالية. والعثامير في القصيم عادة شرقي وجنوبي الشجرة لأنها عكس اتجاه الرياح السائدة في القصيم وهو الشمال والغرب. وتتصف منطقة العثامير عادة بوعورتها واتخاذ الزواحف لها بيئة لسكانها، كالثعابين وغيرها (الوليعي ١٤١٠: ٤٨).

العُجْمَة (جمعها العَجَمات): العجمة من الرمل المتراكم المشرف على ما حوله، وقيل هو كثرته وما تعقَّد منه. والرملة العجماء التي لا شجر فيها. والعجمان الصخور الصلاب.

العداب: من صفات الرمل، ما استدق منه، أو جانبه الذي يدق ويلي الجَدَد، ويكون عادة عند ذيول الكثبان الهلالية وأطراف حبال الرمل أو العروق. وفي شعر ابن أحمر الباهلي:

كثور العداب الفرد يضربه النّدا
تعَلَّى الندا في متنه وتحورا

والعرب في عصرنا يقولون العدام بالميم بدل الباء، والتعاقب بين الحرفين معروف في بعض الكلمات، ولكنهم يقصدون به ما غلظ وارتفع من الرمل واحدته عدامة (الجاسر ١٤٠١، ج٣: ١١٣٣-١١٣٤).

العَدَانَة: هي منطقة رمال عظيمة أكبر من العراقيب تتكون من التقاء مجموعة من الطعاميس، مما يخلق منخفضات

عرقوب (مجموعة من الطعوس الصغيرة)

عديدة بين رؤوس الطعاميس قد تسمى نقر.

العُرقُوب: هو مجموعة من الطعوس الصغيرة في بداية تشكلها خاصة عندما تكون ملتحمة وذات التواء، وعند بعض أبناء البادية يقصد بالعرقوب الامتداد الرملي في العرق الذي لا نبات فيه وتكون أرضها أكثر صلابة من غيرها ومحدبة ومستطيلة الشكل ولذا فهي أسهل الأماكن لسير السيارات. وقد يسمى البرعوص والبرخوص.

عرقوب

العقلة: منخفض في الرمل أرضها جلد وتحيط بها الرمال من جميع جوانبها، وقد يكون في العقلة ماء وزرع، وسميت عقلاً أخذاً من عقال الراحلة الذي يمكن أن يؤخذ الماء به من آبارها لقربه من السطح. ومن العقل عقل الزلفي داخل نفود الثويرات وبامتداده

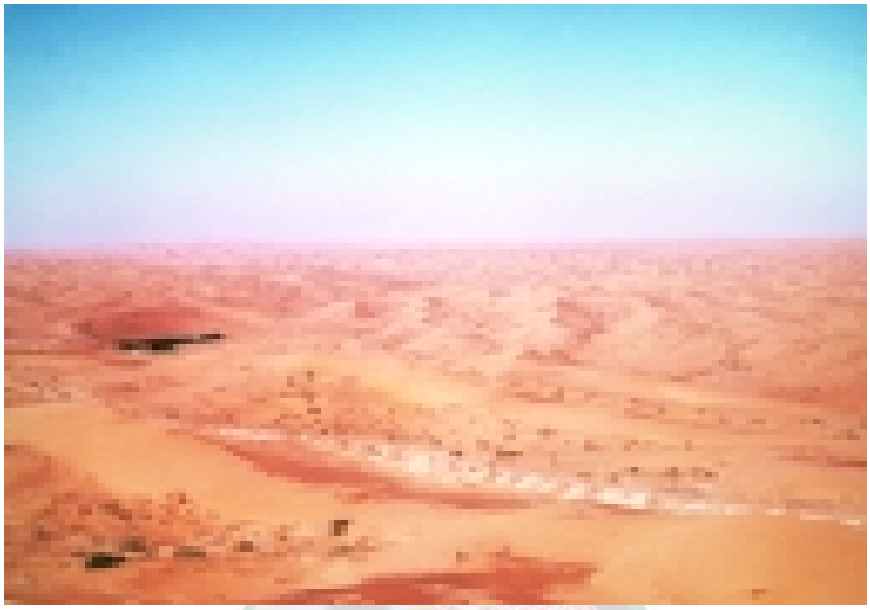

عقلة في نفود الثويرات

عريق البلدان، وعقلة أم قلوب وأم هشيم غرب حائل وعقلة الرماحي وابن داني وابن قليب شرق حائل.

الغرمول: والجمع الغراميل، وقد تجمعها العامة على غريميلات، حصوات مناصيب ممثلة بفعل الرياح ترى من بعد كالأزوال، وقد تطلق على تكوينات رملية غير كبيرة.

الفَالِق: الفَلْق هو الشق، ويستخدم في النُّفُود الكَبِيْر مرادفاً للشقيقة التي تستخدم في الرُّبْع الخَالِي. والفَلْق الشق، والفُلُوْق الشقوق، واحدها فَلْق وفَلَق. ويقال: مررت بحَرَّةٍ فيها فُلُوْقٌ أي شقوق. والفَلَق والفَالِق: الشق في الجبل والشِّعْب. والفَلَق المطمئن من الأرض بين الرَّبْوَتَيْنِ. والفَالِقُ فضاء بين شقيقتين من رمل، وجمعها فُلْقَان. ولا يستخدم في الوقت الحاضر سوى فَلْق التي تجمع على فُلُوْقٌ، مثل فَلْق الوَسِيْع وفُلُوْق الرَّاشِد في النُّفُوْد الكَبِيْر.

القَصِيمة جمعها القَصَائم: رمال مستطيلة شبيهة بالعرق أو الحَبل تنبت الغضا. قال أبو حنيفة: ولولا الغضا لم تكن قصيمة. ومن أجل ذلك سمي إقليم القصيم بهذا الاسم وذلك لكثرة الغضا في رماله.

القونس: في عرف البادية كل منطقة رملية بها طعوس جم متلاصقة بعضها

عرق أحم – نفود الثويرات

ببعـض. والقوز تكوين رمـلي أجم لا يرتبط بشيء حوله وظهره مقوس لا هيال فيه.

الكاسح: ويقصد به سفح الكـثيب الذي تنـقل منه الـرياح، ويكون عـادة مواجهاً للرياح السائدة.

الكثيب الرملـي: جاء في اللسان انكثب الرمل: اجتمع. والكثيب من الرمل: القطعة تنقاد محدودبه. وقيل: هو ما اجتمع واحدودب والجمع: أكثبة وكُثبٌ وكُثبانٌ مشتق من ذلك وهي تلال الرمل وفي التنزيل العزيز: ﴿... وكانت الجبال كثـيباً مهيلا﴾ (المزمل: ١٤). قال الفراء: الـكثيب الرمل، والمهـيل الذي تحرك أسفـله فينهال علـيك من أعلاه.

الكثيب الهلالي: وهي الكثبان ذات الشكل الـهلالي، وتنشأ حيـنما تهب الرياح من اتجاه رئيسي ثابت فوق أرض مستوية فتصادف عقبة صغيرة، كشجيرة أو كوم من الحجـارة أو حيوان ميت. فتكون هذه العقبة النواة التي ينشأ حولها الكثيـب، ويتطور ويزداد حجمه تـبعاً لوفرة الرمال وكثرتها. وقد يصل ارتفاعه إلى ثلاثين متراً، ويكون لطيف الانحدار في الجهة التي تهب منها الرياح، ومقوراً من الجهة الأخرى مع قرنين يمثلان طرفي الهلال، وأي تغير في اتجاهات الرياح

كثبان رملية – نفود الثويرات

قد يحوله إلى أنماط كثيبية أخرى. وقد أطلق العرب عليه عدة تسميات أخرى، منها الحَنْو، الدعص، والقوز ومن ذلك قوز بالعير قرب القنفدة وفيه قرية سميت باسمه، وفي مدينة جدة حيّان أحدهما اسمه القوازيق والآخر قويزه سميا بذلك لأنهما قاما على قيزان الرمل.

اللَّبَب: الرمل الكثير يقال له العَقَنْقَل، فإذا نقص فهو كَثِيْب، فإذا نقص عنه فهو عَوْكَلٌ، فإذا نقص عنه فهو سِقْطٌ، فإذا نقص عنه فهو عَدَابٌ، فإذا نقص عنه فهو لَبَبٌ. وقيل: اللَّبَب هو ما استرق وانحدر من الرمل. وقال بعضهم اللَّبَبُ من الرمل ما كان قريباً من حَبْل الرمل. قال أبو حنيفة «اللَّبَبُ من الرمل هو المسترق المنحدر من معظم الرمل وهو أسفل الحبل ومسقطه». ويطلق على المنطقة الواقعة شمال النُّفُوْد الكَبِيْر اللَّبَّة.

اللُغْف: يطلق على جانب الرمل الممتد ذي الانحناءة مثل لُغْف النُّفُوْد الكَبِيْر في الخُنْفَة. ولغف العرق بطنه.

اللَّهَد: وهو جانب الرمل المطل على النقرة مباشرة شديد الانحدار لأنه يقع في الجانب المعاكس لاتجاه الريح، ورمله متحرك غير ثابت، ولهذا يجد الإنسان والحيوان صعوبة في صعوده على الأقدام. ويسمى بطن العرق ويسمى الردف.

اللهد (بطن العرق – الرِّدف)

اللِّوى: اللوى منقطع الرمل، فهو في الأصل وصف سميت به مواضع بعينها. قال ذو الرمة:

أقامت بها حتى تصوّح باللِّوى
لوى معقلات في منابته البقل

وهذا البيت دليل على أن قرب معقلات موضعاً يعرف باللوى يضاف إليها، كما أن عطفه اللوى على حزوى في البيت التالي:

أرقتُ له والثلج بيني وبينه
وحومان حزوى فاللوى فالحرائر

يفهم منه تقارب الموضعين. ووصف المرتعى في اللوى بالصمان في البيت التالي:

تعرجن بالصمان حتى تعذرت
عليهن أرتاع اللوى ومشاربه

يدل على أن هذا الموضع في الصمان. ولذا فإنه يمكن القول إن اللوى الوارد في شعر ذي الرمة يقع شرق الدهناء بقرب معقلة في نواحي الصمان. والصمان -وإن كان حزوناً وقفافاً

مختم ومعنك

ورياضاً- إلا أن فيه أماكن ذات رمل (الجاسر د.ت. ج٤: ١٥٤٣-١٥٤٤).

المجذم: موقف الرمل القائم.

المختم والمعنك: مصطلح محلي يطلق على الامتداد الرملي الذي يعترض في الشقة أو الخبة ويصل بين العرقين.

المشبك والمعجم: مصطلح محلي يطلق على نقطة التقاء العرقين.

المعيزيله: قطعة الرمل تنفصل عن الرمل الكثير. وبها سميت منطقة معيزيلة شرق الرياض (ابن خميس ١٤٠٠، ج١: ٦٥٠).

المهلكة: المفازة التي يخشى فيها الهلاك لانعدام الماء فيها، وهي أرض في الجنوب الشرقي من المحراض تكثر فيها الرمال والسباخ، وتدعى عروق المهلكة في الربع الخالي، وفي شرقيها بئر ارتوازية حديثة تدعى قلمة أبو شفرة (الجاسر د.ت.، ج٤: ١٧٠٣).

النازية: وهي النزاوة وجمعها النوازي وتطلق على كل أرض مرتفعة عما حولها سواء كانت رملية أم صلبة. وفي الرمال تطلق على الرمال المتجمعة والمرتفعة وسط الكثبان الرملية. التي تطل عادة على نقرة، ويكون رملها شديد الانهيال في جانب النقرة، ولين في منطقة الظهر.

قال ابن لعبون:

وغنى راعبيات الحماما
على ذيك المشاريف النوازي

وقال آخر:

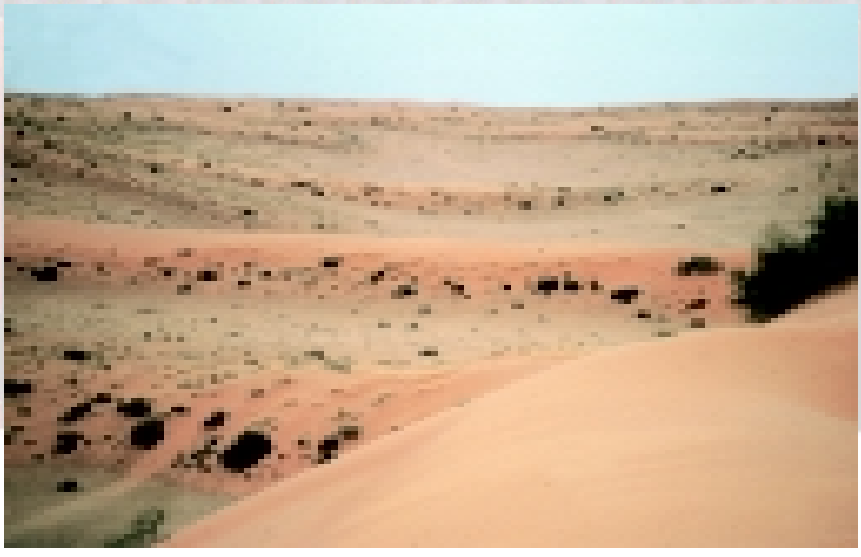

مشبك ومعجم

وإن صاح صياحٍ بروس النوازي

تجيه دقلات السبايا تكزى

نَجَفة الكثيب (النِّجاف): نجفة الكثيب إبطه، وهو آخره الذي تصفقه الرياح فتنجفه فيصير كأنه جرف منجوف.

النقرة: المكان المنخفض وسط الرمل، وهي منخفض يحيط به قوس من الرمال ذو انحدار شديد من ناحية النقرة وانحدار تدريجي من الناحية الأخرى. وتكون النقرة بالاتجاه المعاكس لاتجاه الرياح، وتحمل الرياح ذرات الرمل لتلقيها أمام النقرة. ولكن في وسط النقرة المحمي من الرياح، تتكون دوامات هوائية تحمل الذرات الرملية المتساقطة معها مرة أخرى لإرسابها على حافة الكثيب أو الطعس مما يؤدي إلى استمراره وبهذا تكون النقرة خالية أو شبه خالية من الرمال. قال ابن سيده «النقار الواحدة نقرة تكون في الرمل وفيها تصوب وهي مكرمة تنبت وينزلها الناس لوطائها» والتصوب من الصبب وهو انحدار الرمل من مكان عال نحو النقرة. والنقرة عادة تكون واسعة فإذا كانت ضيقة جداً سميت هوته وقرويطة. وهناك ثلاثة مصطلحات تستعمل مرتبطة بالنقرة هي: اللَّهَد والظهر والذالق وجميعها سبق شرحها.

ومن النقر: نقرة الحيران -جمع حوار وهو ولد الناقة- موضع شرقي تيماء. ونقرة قفار قرية تقع بقرب قفار، بينهما

النقرة

الهيال

وبين حايل على مسافة ١٢كم من حايل متصلة بقرية قفار (الجاسر د.ت.، ج٣: ١٣٢٣).

الهيال: هو الجزء المعاكس لاتجاه الرياح فيكون في أعلى العرق حيث تنهال حبات الرمل، ويكون عادة بشكل هلال يصعب على الإنسان أو المطية وحتى السيارة الصعود معه.

الأشكال الرملية

تعدّ الرمال وأشكالها المتعددة من أهم صور الإرساب التي تتركها الرياح في الصحراء. ونظرة واحدة في خريطة شبه الجزيرة العربية تبين لنا تلك المساحات الشاسعة التي تغطيها الرمال، حيث تصل تلك المساحة إلى نحو نصف المناطق الرسوبية بها.

وإذا كانت اتجاهات الرياح السائدة والعرضية ذات أثر بعيد في تشكيل الإرسابات الرملية المعروفة، فإن لعوامل السمات السطحية (الطبوغرافية) أثرها الكبير أيضاً في تحديد مكان النطاقات الرملية في شبه الجزيرة العربية. والرياح، كأي عامل تشكيلي آخر، تنحو إلى التسوية فتنحت في المناطق المرتفعة وترسب في المناطق المنخفضة لسببين اثنين، أولهما الجاذبية الأرضية بقدرتها التي لا تقل عن قدرة الرياح، والسبب

الثاني أن الكثبان الرملية لا تتشكل فوق المناطق المرتفعة، وهكذا نشأت تلك النطاقات العظيمة في حوضي النفود (عالج) في الشمال والربع الخالي في الجنوب.

ومن عوامل السمات السطحية أيضاً وجود عوائق في مقتبل الرياح تؤدي إلى استنزاف حمولتها من الرمال، وأكبر مثال لتلك العوائق هو جروف الجيلان الممتدة على محاور متوازية شرقي الكتلة العربية القديمة، تلك الجروف التي ساعدت على تكوين النطاق المعروف بالدهناء والمحاور الرملية الموازية له.

ويمكن تصنيف الأشكال الرملية في شبه الجزيرة العربية في أربعة أنواع، ترتبط أساساً بالنطاقات الرملية في شبه الجزيرة العربية، وهي: النفود والدهناء والربع الخالي.

الكثبان الهلالية. يطلق عليها في معظم المؤلفات الأجنبية وبعض المراجع العربية اسم البرخان، وهي لفظة تركية تعني تلك الكثبان الرملية المفردة، ذات الشكل الهلالي، وتمثل الشكل الشائع في معظم صحارينا العربية، ويبدو أنّ هذا الشكل هو أساس غالبية الأشكال الرملية الأخرى فهو ينشأ في ظل أبسط الظروف، وأي تعقيد في عناصر البيئة يحوله إلى أنماط كثيبية أخرى. وأنسب البيئات لتشكل الأَهِلَّة هي سهول الرِّق المستوية الخالية من التَضرس، حينما تهب

كثبان هلالية على ساحل تهامة

الرياح من اتجاه رئيسي ثابت فوق أرض مستوية، فتصادف عقبة صغيرة كشجيرة أو كوم من الحجارة أو حيوان ميت. فتكون هذه العقبة بمثابة النواة التي ينشأ حولها الكثيب ويتطور ويزداد حجمه تبعاً لوفرة الرمال وكثرتها، وقد يصل ارتفاعه إلى ثلاثين متراً. ويكون لطيف الانحدار في الجهة التي تهب منها الرياح، ومقورا من الجهة الأخرى، مع قرنين يمثلان طرفي الهلال.

ونظرا للشكل الهلالي الذي يتخذه الكثيب، أطلق العرب على هذا النوع من الكثبان عدة تسميات. فهو الحِنْو وجمعه أَحْنَاء، والحِقْف وجمعه أَحْقَاف، والقَوْز وجمعه أقواز وأَقَاوِز وقيزان. والتسمية الأولى ليست خاصة بالرمل وإنما تطلق على كل معوج من الرمل والأودية والقِفاف، كما في لسان العرب لابن منظور. أما الحِقْف، فهو ما اعوج من الرمل واستطال. ويبدو أن المقصود بهذه التسمية تلك العروق الحلزونية الشكل الناتجة عن انفصال أحد أطراف الكثيب الهلالي، وتعتبر الرياح الشمالية الشرقية والجنوبية الشرقية هي المسؤولة عن تكوين هذه الأشكال. وقد تلتحم هذه الأشكال في مجموعة واحدة تمتد عدة كيلومترات. ويسود هذا النوع من الكثبان جنوب الربع الخالي، دون باقي مناطق الجزيرة. مما أعطى هذا الجزء من الجزيرة اسمه القديم (الأحقاف). وجاء في تفسير قوله عز وجل: (إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بالأَحْقَاف) قيل كان سكناهم الرمل، كما جاء في المخصص لابن سيده. ولا يزال هذا الاسم يكتب على الخرائط الحديثة.

أما النوع الثالث -القَوْز- فهو الذي تنطبق عليه مواصفات الكثيب الهلالي، يقول العسكري «القَوْز المستدير من الرمل كأنه هلال» (العسكري ١٣٥٢، ج٢: ٥٢١). وهو الرمل عندما ينعطف فيصير مثل الهلال، وهو ينبت نباتاً كثيراً. وهذا المصطلح شائع الاستخدام. واختلف في حجم القوز، فقيل: هو الكثيب المشرف العالي من الرمل كأنه جبل، وقيل: إنه الكثيب الصغير، والقول الأول أرجح.

العُروق. ومفردها عرق، ويطلق لفظ العروق على الكثبان الرملية المستطيلة التي تنقاد (أي تمتد) في الأرض لمسافات بعيدة. وتنشأ عادة عندما تقبل الريح الدائمة من اتجاه غالب، تؤازرها رياح آتية من اتجاهين جانبيين (بحيري ١٩٧٢: ٦٨). وتعمل الرياح الدائمة على زيادة طولها، بينما الرياح الجانبية تعمل على زيادة عرضها وارتفاعها.

٥٥وتكون مثل هذه الكثبان عادة من مجموعات متوازية يفصل بينها أراض منخفضة، تتحرك خلالها الرياح، وتسمى تلك الأراضي الشَّقائق واحدها شقيقة. وقد تنشأ هذه الكثبان نتيجة اختلاف ظروف الرياح في منطقة تسود فيها الكثبان الهلالية، فتتحد تلك الكثبان مؤلفة مجموعة من الكثبان الطولية المتوازية. ويطلق على هذه الكثبان في شبه الجزيرة اليوم اسم العروق. ولم تكن هذه التسمية شائعة في المصادر العربية كما هي عليه الآن، فاللفظ الشائع هو الحِبَال أو حِبَال الرَّمل، فالحَبْل كما ورد في لسان العرب: الرمل المستطيل شُبِّه بالحبل، والحبل من الرمل المجتمع الكثير العالي. وقيل الحِبَال في الرمل كالجِبَال في غير الرمل. كما تُدعى الأُمُل ومفرده أَمِيل. جاء في لسان العرب: الأَمِيل حَبْل من الرمل معتزل عن معظمه، على تقدير مِيل. وقيل الأَمِيل حبل من الرمل يكون عرضه نحوا من ميل. والأكثر في صفته هو الاستطالة. وهو بهذا مرادف للعِرْق، ويقال لحبال الرمل الصغار المَعْنِيق، قال ابن شميل: معانيق الرمال حِبال صغار بين أيدي الرمل، الواحدة معنقة. وفي حديث عروة بن مُضَرِّس «أتيتك من جبلي طيء ما تركت من حبل إلا وقفت

عروق بنفود المظهور

عليه». وقال ابن سيده: الأَمِيل حبل من الرمل يكون عرضه نحوا من ميل، وقيل يكون عرضه ميلا وطوله مسيرة يوم وقيل مسيرة يومين، وقيل عرضه نصف يوم. وقال ابن منظور الأَمِيل ما ارتفع عن الأرض من غير أن يُحَدّ. يقول الشاعر:

نظرتُ ودوني القف ذو النخل هل أرى
أجارع في آل الضحى من ذُرا الأمل

والأمل هو الطرف الشمالي من نفود السياريات مع الطرف الجنوبي من عرق المظهور حيث التقاء النفودين فيما بين وادي الأجردي (ذي طلوح قديماً) وقرية الحمودية (الجاسر ١٣٩٧، ج١: ١٣٧).

وتنتشر عروق الرمل أو الحبال في معظم النطاقات الرملية في شبه الجزيرة، وبخاصة في الربع الخالي والدهناء في خطوط طولية متوازية تمتد حسب اتجاه الرياح السائدة متباينة الأشكال. فبعضها حواف رملية ذات رؤوس حادة، وبعضها الآخر يكون في شكل امتدادات رملية تعتليها بعض الأقْوَاز (الكثبان الهلالية) التي تهاجر في اتجاه الريح. ومثله العريق (بصيغة التصغير) ويدل على الرمل الكثير مثل عريق البلدان وعريق الدسم. ونهاية العرق في الدهناء من جهة الجنوب الشرقي يطلق عليها الرثرث. وفي الربع الخالي يطلق عليه المرثم.

وتسمى الفُرْجَة بين الحبلين الشَّقِيقَة أو الشقة وجمعها شَقَائق وشقق. قال ابن منظور نقلا عن الأزهري: الدهناء سبعة أَحْبُل بين كل حَبْلَيْن شَقِيقَة، وعرض كل حَبل ميل، وكذلك عرض كل شقيقة. وفي المخصص: الشَّقِيقة الأرض بين الحَبْلين على طَوارهما تنقاد ما انقادا، وهي أرض صلبة يَسْتَنْقع فيها الماء، سعتها الغَلْوة والغَلْوتان. وسماها

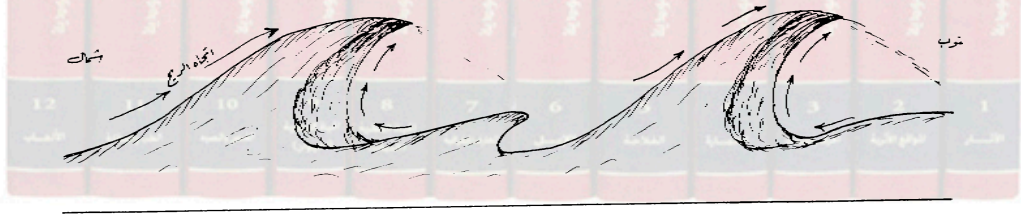

كثبان هلالية مهاجرة (شرقي خريص – الدهناء)

البكري الشُّقَّة وذكر أن عرضها ربما كان فرسخا، وهي أرض ليس بها من الرمل شيء. هُجُول، جمع هَجْل وهو المطمئن من الأرض، وصحاري تُنبت البقل، وأكثر شجرها العَرْفَج (البكري ١٩٤٥، ج٤: ٩١٣-٩١٤). وربما نشأ في تلك الشَّقائق بعض الكثبان الهلالية أو العروق الصغيرة من الرمل، فتلك تسمى الفَلَك، الواحدة فَلْكَة، كما أورد ذلك ابن سيده.

الدَّكْدَاك أو الدَّكْدَاكة. وهو -حسب ما يقول ابن سيده- ما غَلُظ من الرمل وجلد، وإذا تَلَبَّد الرمل فقد انْدَكَّ، فإن حفرت فيه حفرت في تُراب هَيَام وهو الدُّك. والدَّكْدَك والدَّكْدَاك من الرمل ما تَكَبَّس واستوى، وقيل هو بطن من الأرض مستو. وقال الأصمعي: الدَّكْداك من الرمل ما التَبَد بَعْضُه على بعض ولم يرتفع كثيراً، كما ورد في لسان العرب. والوصف الذي أشارت إليه النصوص السابقة ينطبق على ما يُعرف اليوم بالدِّكاك ومفردها دكاكة، حذفت الدال الثانية للتخفيف، وتطلق على الرمال المستقرة المنبسطة على وجه الأرض، وتكثر بها -عادة- النباتات والشجيرات التي تعمل على استقرارها، وهي صالحة لسير المركبات فوقها لتلبُّد الرمل وتَماسُكه. وإذا كان ذلك المنبسط الرملي أو الدكداك

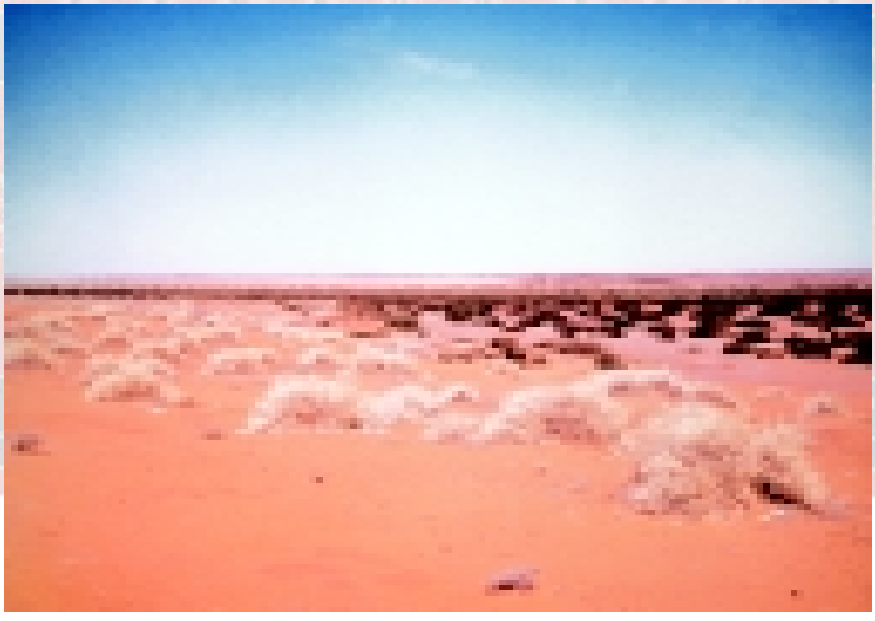

دكداك قرب خبراء صفاقة

رقيق الرمل غير متلبد سمي العَدَاب، وهو ما انبسط من الرمل وامتد بعد معظمه حتى يضرب الجَدَد، كما يقول ابن سيده، وربما كان ذلك عند ذيول الكثبان الهلالية وعند أطراف حبال الرمل أو العروق.

الأنْقَاء. النَّقَا وجمعه أنقاء وهو – كما يقول ابن منظور– تل الرمل يرتفع وينفرد، ويكون رمله ثابتاً، وتكثر الأنقاء في الدهناء، والتثنية نَقَوان ونَقَيَان والجمع أَنْقَاء ونُقِيّ، وهي أكوام رملية عظيمة خالية من النبات ترتفع عما حولها كثيراً وترى من بعيد كأنها جبال منفردة. وتتألف تلك الأكوام من كثبان هلالية الشكل متداخلة، يعلو بعضها بعضا، بطريقة لولبية تحصر في وسطها فَجَوات عميقة يصل بعضها إلى سطح الأصل، وتسمى تلك الفجوات عند العرب باسم البَلالِيق واحدتها بَلُّوقَة، وهي مكان صلب بين الرمال كأنه مكنوس، تزعم الأعراب أنه من مساكن الجن. وقد تمتد أطراف تلك الأنقاء إلى عدة كيلومترات، ويمكن رؤية ذلك بوضوح في الأجزاء الجنوبية الشرقية من النفود الكبير في شمال شبه الجزيرة العربية. وبالقرب منها رواب رملية منبتة ذات شكل بيضاوي تسمى عند البدو الزّبَاره. وهي الرمال المتجمعة والمرتفعة ولكنها ليست مستدقة كالنقا. ليس بجانبها نقرة بل أرض مستوية. وأكثر ما تتكاثر الأنقاء في غرب شمالي الدَّهْنَاء مما يلي مياه الدَّجَاني والقَاعِيَّة، فهناك: نَقَى هَشَّال ونَقَى المُغْر ونَقَى المُطَوَّع ونَقَى مِخْيَط ونَقَى عَجَاج ونَقَى سُبَيْت ونَقَى الجَمَل ونَقَى التَّنْهَاة ونَقَى أبو الهَوْل. ومعظم هذه الأنقاء متجاورة لذلك تسمى منطقتها حَوْمَة النِّقْيَان أي مَجْمَع الأَنْقَاء.

تكوينات الرمال

تعد أشكال التجمعات الرملية المختلفة من أبرز مظاهر السطح، ليس في المملكة العربية السعودية فحسب وإنما في جميع المناطق الجافة وشبه الجافة في العالم. وتغطي أشكال التجمعات الرملية عادة ما بين ربع وثلث مساحات الصحاري في العالم. وتتضمن هذه التجمعات الرملية بطبيعة الحال أشكالاً كَثيبيّة وغير كثيبية متعددة. وتتنوع أشكال الكثبان الرملية عادة حسب ظروف السطح والمناخ وموارد الرمال والموقع. وبناء على ذلك اختلفت هذه الأشكال في مختلف مواقع المملكة حسب الظروف البيئية المحلية لكل منها.

التكوينات الرملية في غرب المملكة.

أدت الاختلافات الشكلية بين القسم الشمالي والقسم الجنوبي للسهل الساحلي الغربي دوراً مهماً في زيادة رقعة التجمعات الرملية أو تقلصها. وتبدأ هذه الاختلافات الشكلية بين قسمي السهل الساحلي من شمال ينبع البحر، وتزداد وضوحاً إلى الشمال من مدينة الوجه حتى مدينة حقل شمالاً. فقد سبب ارتفاع السهل الساحلي في القسم الشمالي ضيق الشريط الساحلي الذي تغطيه مياه المد، مما قلل من فرص ترسيب الرمال عليه، وحتى لو ترسبت مثل هذه الرمال فإن ارتفاع الساحل الخلفي على شكل جرف يمنع انتقال رمال الساحل الأمامي وقفزها فوقها في كثير من الحالات، باستثناء بعض المصبات الواسعة التي تستطيع الرياح فيها تحريك الرمال من منطقة المصب إلى الداخل.

أما القسم الجنوبي من تهامة فيتميز بأنه سهل ساحلي منخفض، يزداد فيه اتساع الساحل الأمامي الذي تغطيه مياه المد لمسافات واسعة نحو الداخل. ولذلك فإن كثيراً مما تلقيه مصبات الأودية المنحدرة من جبال الحجاز يعاد ترسيبه على الساحل الأمامي بواسطة مياه المد، مما يعطي الفرصة لنقل هذه الرواسب بالرياح عند حدوث الجزر وجفاف هذه الرواسب. ولذا فقد تميز القسم الجنوبي من تهامة باتساع مساحات التجمعات

زحف الرمال في تهامة

الرملية التي تزداد انتشاراً نحو الجنوب، ابتداء من منطقة أم لج حتى تهامة عسير وحدود المملكة العربية السعودية مع الجمهورية اليمنية.

وأدى انحدار السطح على السفوح الشرقية لجبال الحجاز إلى اختلاف تشكل التجمعات الرملية على هذه السفوح عن تلك التي على السهل الساحلي. ففي هذه المنطقة تنتقل حبيبات الرمال مع الانحدار، بينما تنتقل في السهل الساحلي عكس الانحدار. وقد ساهمت هذه الخاصية في زيادة رقعة التجمعات الرملية في الداخل عنها في تهامة. وتزداد هذه التجمعات الرملية عادة في المناطق المحيطة بالمجاري الدنيا للأودية أو في تلك المناطق التي تغطيها أو تقترب منها صخور الحجر الرملي.

ففي أقصى الجنوب تنتشر التجمعات الرملية حول المجرى الجنوبي لوادي نَجْرَان. وتنتشر أربعة تجمعات رملية واسعة في المناطق الواقعة بين المجاري الدنيا لأودية حبونا وأَيْدَمَة. وأكبرها رملة الثُّوير الواقعة جنوباً، وتبلغ مساحتها حوالي ١٧٦٠كم٢ (٢٢x٨٠ كم). كما تقع إلى الشمال منها عدة تجمعات رملية أشهرها عرق الشغيليث متصلة بالمندق من شرق، وعرق الحاذ ورملة بني خرب.

وتمثل هذه التجمعات الرملية مقدمات رملة بني خَطْمَة المتصلة برمال الربع الخالي. أما أهم العروق الرملية فهي تلك المنتشرة حول المجرى الأدنى لوادي تَثْليث، والمجرى الأدنى لوادي بيشَة حيث نفود حُنْجُرَان وعروق حُنْجُرَان، والمجرى الأدنى لوادي رَنْيَة، والمجاري الدنيا لأودية حرَّة النواصيف والبقوم حيث عروق سْبِيع ونفود المَنْثُورَة. كما تقع إلى الجنوب الشرقي من عَفِيف، حيث نفود السِّرَّة قرب الخاصرة ونُفود السّخا التي تشكلت في المجاري الدنيا لعدد كبير من الأودية. كما تمتد العروق بعيداً إلى الشرق من وادي الجرير (رافد وادي الرمة) إلى الشمال من عفيف. وباستثناء امتدادات النفود الكبير إلى الشرق من بلدة تَيْمَاء فلا توجد تجمعات رملية أخرى ذات شأن، فيما عدا بعض التجمعات الصغيرة جداً في هضبة حِسْمَى إلى الغرب من تبوك.

وتتعدد أشكال التجمعات الرملية في غرب المملكة كما تتغير أشكالها من حين لآخر تحت تأثير الرياح. ويتوقف ذلك على سرعة الرياح وشدتها واتجاهها السائد وديمومتها في الاتجاه، والمدى الذي تتغير فيه اتجاهاتها من فترة زمنية إلى أخرى. إلى جانب

فرشات رملية رقيقة في ساحل تهامة

الاختلافات التضريسية في المنطقة وتباين مصادر الرمال من منطقة إلى أخرى. وهناك عدد من أشكال التجمعات الرملية تشمل الملاءات أو الغطاءات الرملية، وهي تلك الفرشات الرملية الرقيقة التي تذروها الرياح غالباً. ويتكون على سطح هذه الفرشات كثبان رملية أولية وتموجات رملية أو تجعدات غالباً ما تكون متعامدة على اتجاه الرياح السائدة. وتوجد الغطاءات الرملية المتحركة، والتموجات الرملية والكثبان الأولية في معظم مناطق الرمال في المملكة سواء أكان ذلك في القسم الجنوبي من تهامة أم في أطراف صحارى الربع الخالي والنفود والمجاري الدنيا لأودية السفوح الشرقية لجبال الحجاز.

ويمتد تأثير الرمال المتحركة فيها إلى أعالي السراة خاصة في فصل الصيف إذ تحيل سماء السراة إلى غيمة متصلة من الرمال الناعمة، خاصةً عندما يتوقف هطول الأمطار لمدة طويلة. وأكبر مساحة تتحرك فيها الرياح الرملية بمنطقة الباحة هي بلدة ناوان بقطاع تهامة وأبو صادع بين الليث والميقات (يلملم).

وتتعدد الكثبان الرملية الهلالية بجميع أنواعها ومراحلها، سواء البيضاوية منها أو البسيطة أو المركبة في عدد من المواقع على طول السهل الساحلي. ففي الجنوب تسود هذه الكثبان

كثبان رملية أولية في تهامة (الربابيض)

في حقول الرمال الممتدة بين غرب مدينة بِيش وعِتْود جنوباً حتى شمال دلتا وادي حلي. كما تسود هذه الكثبان بين وادي الشاقة اليمانية جنوباً، مروراً بالقُوْز وشمال مصب وادي الليث ومصب وادي خليص وقْديد ونفود المَرَاوين الواقعة إلى الجنوب والشرق والشمال الشرقي من مدينة أُمْ لُجْ. وتنتشر بعض الكثبان الرملية العرضية في سهول تهامة في المناطق التي يتلاحم فيها عدد كبير من الكثبان الهلالية الصغيرة في سلاسل متجاورة في المواقع التي تنتشر فيها الكثبان الهلالية السابقة.

الكثبان الرملية في تهامة

وهناك كثبان طولية متنوعة تمتد في تهامة خلال المنطقة الممتدة بين وادي تعشر جنوباً حتى وادي بيش شمالاً في تهامة السروات (عسير)، مروراً بالمناطق الفاصلة بين وادي تعشر ووادي خُلَب، وبين الوادي الأخير ووادي خُمْس، وبين خمس ووادي فُجَا، وإلى الغرب من وادي أم لج، وشمال وادي ضمد، وشمال مصب وادي بيش. كما تتوزع

كثبان رملية بالقرب من وادي حلي

الكثبان الطولية في المنطقة الممتدة بين جنوب وادي حلي وشمال وادي دُوقَة، مروراً بمناطق وادي يبة، وشمال وادي قَنُونَة، وشمال وجنوب وادي الأحسبة والمِظِيْلِفْ. إضافة إلى بعض المواقع المتفرقة كما في جنوب الليث، ووادي المعرج جنوب وادي الصفراء شمالاً في تهامة-الحجاز. وتتوزع الكثبان الطولية إلى الشرق من جبال السروات والحجاز في مواقع متفرقة من الجنوب إلى الشمال، كما في المجرى الأدنى لوادي بيشة، وفي نفود الحُورِيَة شمال سبيع، ونفود السرّة، ونفود السّخا إلى الجنوب الشرقي من مدينة عفيف.

أما العروق فينحصر توزيعها إلى الشرق من جبال السروات والحجاز فقط. وتنعدم في تهامة حيث يضيق السهل الساحلي على البحر الأحمر في كثير من المواقع. كما تقطعه الأودية المنحدرة من جبال السروات والحجاز بكثافة تحول دون تكون العروق التي تحتاج إلى مناطق سهلية واسعة. ومن أهم مواقع توزع هذه العروق في شرق جبال السروات

كثبان هلالية صغيرة متجاورة

كثبان طولية قرب الليث

والحجاز، ابتداء من الجنوب إلى الشمال، سهل جوب عدوا، وسهل رملة العرمرم جنوب وشمال المجرى الأولي لوادي نجران. ورملة الثُويْر إلى الشمال من المجرى الأدنى لوادي حبونا. والى الشرق من جبال الوَجيد. وكذلك في عروق حُنْجُرَان ونفود حنجران على الطرف الغربي لمصب وادي بيشة، وفي عروق سْبِيع إلى الشمال من مصب وادي رَنْيَة، ونفود الحُورية إلى الشمال الشرقي من عروق سبيع.

وإلى الشرق من جبال الحجاز، الجبال الرملية المعروفة بالأنقاء أو النُّقى، بينما تختفي في تهامة لقلة المصادر الرملية فيها. وتتوزع في أربعة مواقع رئيسية أبعدها جنوباً موقع بني خُرْب إلى الجنوب من المجرى الأدنى لوادي تَثْلِيث؛ ثم في مواقع متعددة عند المجرى الأدنى لوادي بيشة. وفي الشمال تقع الجبال الرملية إلى الشرق من الحْنَاكِيَّة، وفي أطراف النفود الكبير إلى الشرق من مدينة تَيْمَاء.

التكوينات الرملية في نَجْد السفلى. تقع نَجْد السفلى، أو سافلة نجد، إلى الشرق مباشرة من هضبة عالية نَجْد، وتتكون من الأحجار الجيرية والرملية والطفل. وتتميز المنطقة بحافات جبلية (جيلان) تواجه الغرب. ولذلك تسمى أحياناً بمنطقة الحافات أو الجيلان، وهي حافات ظاهرة للطبقات الرسوبية نتجت

بفعل الحت المتفاوت، تميل ميلاً طفيفاً متماثلاً ناحية الشرق ويبلغ متوسط عرض هذه المنطقة ٢٥٠كم. ومن الثابت علمياً أن الرياح الحاملة للرمال تضع حملها أثناء مرورها بعوائق تقلل من قدرتها على حمل الرمال، ولهذا ترسب الرياح كميات هائلة من الرمال بين هذه الحافات. فحيثما وجدت حافة جبلية وجدت أمامها رمال تزيد في الحجم أو تقل حسب ارتفاع الحافة الجبلية واستمرارها وتوفر مصادر الإرساب.

وهناك كثبان رملية إلى الشرق من هذه الحافات، فإلى الغرب من صفراء السِّر نجد نُفُود الغَمِيْس الذي يملأ مجرى وادي الرُّمة، ونفود الشُّقَيِّقَة الذي يستمر نحو الجنوب الشرقي حتى دائرة العرض ٢٧َ ٢٥ْ شمالاً، ونفود الثَّنْدُوَة إلى الجنوب الشرقي من نفود الشُّقَيِّقَة. وقد منع نفود الشُّقَيِّقَة وادي الرِّشَاء من الاتصال بوادي الرُّمَّة، لذلك ينتهي بقاع كبير اسمه قاع الخَرْمَاء. ونتيجة لهذا فقد رسَّب تربة طميية خصبة استغلها السكان وجعلوها مزارع واسعة.

ومع أن نفود الغَمِيْس يمتد إلى قرب الرُّكَيَّة شرق بُرَيْدَة مما يجعله يتصل بنفود السِّر وعريق الطُّرْفِيَّة، فإن التجمع الرئيسي لهذا النفود هو في منطقة بريدة ولهذا يطلق على هذا التجمع أحياناً نفود بريدة. ويكاد نُفُود الغَمِيْس يكون محصوراً بين ثلاثة طرق مزفتة، فمن الشرق يحده طريق بريدة-عُنَيْزَة السريع، ومن الشمال والغرب يحده طريق بريدة-الشقة-البكيرية-الخَبْرَاء، ومن الجنوب طريق الخَبْرَاء-البدائع-عُنَيْزَة. ويمتد من الشمال للجنوب حوالي ٣٥كم، ومن الشرق للغرب حوالي ٤٠كم، مع إهمال اللسان الممتد من بريدة شرقاً إلى الركية، ومن الغرب اللسان الممتد جنوب الشيحية وشمال البكيرية. وأنواع الكثبان الرملية داخل هذه المنطقة هي كثبان مستطيلة ومستعرضة، مع بعض العُرُوق. وفيما بين العُرُوق توجد بطون رملية واسعة استغلها السكان في الزراعة، ومنها منطقة الخبوب غربي بريدة التي تشتمل على عدد كبير من الخبوب التي تشتهر بزراعة الخضراوات وغيرها من المحصولات المهمة التي تزود بها سكان مدينة بريدة.

ويبدأ نُفُود الشُّقَيِّقَة من غرب مدينة عُنَيْزَة جنوباً، ويمتد نحو الجنوب الشرقي بمحاذاة صفراء المُرَبَّع وصفراء السِّر اللتين تقعان إلى شرقه لمسافة حوالي ٧٥كم بعرض متوسطه ١٨كم، ولكنه يضيق إلى الجنوب من قرية الخَرْمَاء ثم ينتهي إلى الشرق من خُرَيْمان الشَّغَّار عند دائرة

العرض ٢٧َ ٢٥ْ شمالاً. وأنواع الكثبان به هي كثبان طولية وعُرُوق ذات أشكال متنوعة من التلال الرملية، كما أن به بعض الكثبان القبابية.

وإلى الغرب من نُفُود الشُّقَيِّقَة يقع نُفُود رامة إلى الشرق من وادي النساء أحد روافد وادي الرُّمَّة. ونفود رامة تجمعان صغيران من الرمال لا يزيد طولهما على ٥كم وعرضهما على ٢كم، وهما في طور النمو. ذكر العبودي أن نُفُود رامة يقع في منطقة جيدة المرعى، تنبت مختلف العشب الفاخر المفضل عند الأعراب مثل الرِّبْل والنَّفَل والشُّقَارى والقَفْعَاء، وقال «خرجت إليها في يوم من أيام الربيع وكان الجو جميلاً ورامة قد جادها الغيث فأعشبت وأزهرت وعندما رأينا رملها الأحمر يكسوه العشب الأخضر عرفنا أن الشعراء الذين تغنوا بها كان تغنيهم فيها دون ما تستحق». ومن الأمثال القديمة الشائعة «تسألني برامتين سلجما» والسلجم: اللفت. يضرب لطالب حاجةٍ عَسِرَة. يقول العبودي إن أصل هذا المثل أن رجلاً مرضت زوجته وهما برامة في طريق الحج فاشتهت عليه سلجما، فقال:

تسألني برَامَتَيْن سلجماً!
إنك لو سألت شيئاً أمَمَاً
جاء به الكَرِيُّ أو تجشما

وأمما: قريباً، يريد أنك لو سألت شيئاً قريباً لجاء به المكاري متجشماً الصعاب، وذلك لأنه ليس برامة في ذلك الوقت سلجم. ولكن أهل رامة معاندة لقائل الأبيات أوجدوا فيها سلجماً كثيراً. حكى الأصمعي أنه قيل لرجل من أهل رامة: إن قاعكم طيب فلو زرعتموه، قال: زرعناه، قال: وما زرعتموه؟ قال: سلجماً. قال: ما حداكم على ذلك؟ قال: معاندة لقول الشاعر: تسألني... إلخ. وروى الحربي صاحب المناسك عن النوفلي عن أبيه قال: نزلت الرامتين زينب بنت سليمان بن علي فقالت: ما هذا الماء؟ فقيل الرامتين. قالت: التي يقول فيهما الراجز كذا وكذا. لا آكل اليوم، ولا أطعم في رحل إلا السلجم، وكانت حملته مصنوعاً معها. فأمرت به فأخرج، فقسم على جميع من معها» (العبودي ١٤١٠، ج٣: ٩٨٢-٩٩٢).

وباتجاه نُفُود الشُّقَيِّقَة هناك لسان من الرمل يسمى نفود الثندوة. وهو يمتد من بطن عَنْز على دائرة العرض ١٥َ ٢٥ْ شمالاً، ويمتد نحو الجنوب الشرقي لمسافة ٣٧كم حتى فيضة أم الصَّعَانِيْن إلى الجنوب من دائرة العرض ٠٠َ ٢٥ْ شمالاً بنحو ٤كم، وعرضه لا يتجاوز في

المتوسط ٥كم فقط. ويبدو أنه إرساب حديث في طور النمو فليس به كثبان رملية ضخمة، كما خلت خرائط مصلحة المساحة الجيولوجية الأمريكية ١: ٥٠٠,٠٠٠ التي أعدت عام ١٩٦٠م من ذكره أو الإشارة إليه. وبناء على ذلك فإن نُفُود الثندوة في حال نموه وامتداده شمالاً سيتصل بنفود الشُّقَيْقَة مما يجعلهما يوازيان نفود السِّر الذي يقع إلى الشرق منهما. ويبدو من المظهر الطبيعي لهذه المنطقة أننا نشهد تكوُّن دهناء جديدة، منها واحدة قريبة التحقيق عندما يتصل نُفُود السِّر بنُفُود الدِّحي، والأخرى عندما يتصل نفود الشُّقَيْقَة بنُفُود الثندوة ويواصلان الزحف جنوباً. وقد يتصلان بنُفُود السِّر أو الدِّحِي عند نهاية صفراء السِّر.

وإلى الشرق من جال خرطم وجال الوطاة، ترسبت كميات هائلة مستمرة من الرمال التي تتخذ أسماء مختلفة. وهي تتخذ اتجاه الحافات الجبلية من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي. فعند دائرة العرض ٤١َ ٢٦ْ شمالاً يبدأ عريق الطُّرْفِيَّة الذي يستمر نحو الجنوب الشرقي، ويتصل بنُفُود صَعَافِيْق أمام الرُّبَيْعِيَّة والشُّمَاسِيَّة. وأمام دائرة عرض أم سِدْرة، حيث يمر خط الرِّيَاض-سدير القصيم السريع، يبدأ نفود السِّر الذي

نفود صعافيق – أمام الشماسية – القصيم

يستمر في الاتجاه نحو الجنوب الشرقي حتى دائرة العرض ١٢َ ٢٤ْ شمالاً عند مزارع المليْحيَّة على مسافة حوالي ١٠كم جنوب خط الرِّيَاض-مكَّة المُكَرَّمَة السريع. وفي واقع الأمر فإن نفود صَعَافِيْق هو جزء من نفود السِّر مما يمكن معه القول إن نفود السِّر يبدأ من مجرى وادي الرُّمَّة جنوباً.

ويبلغ امتداد عريق الطُّرْفِيَّة حوالي ٣٨كم إذ إنه يمتد إلى مجرى وادي الرُّمَّة. وهناك يتصل به لسان من نُفُود الغَمِيْس الذي سبق الحديث عنه. أما عرضه فلا يتجاوز ٤كم، ولكنه جنوب دائرة العرض ٢٦َ٣٠ْ شمالاً يبدأ عرضه بالازدياد نتيجة قربه من نفود الغَمِيْس ومجرى وادي الرُّمَّة.

أما نفود السِّر فيبلغ امتداده ٢٨٠كم من جنوب مجرى وادي الرُّمَّة حتى نهايته عند مزارع المُليحيَّة. أما عرضه فيتراوح بين ٢٢كم في أقصى اتساع له أمام نُفُود المَلْحَاء، و ٦كم في جزئه الجنوبي جنوب دائرة العرض ٥٠َ ٢٤ْ شمالاً. ويشتهر نُفُود السِّر بكثرة الزبائر (جمع زبَارَة) وهي تجمع هائل من الرمال على شكل قبة كبيرة ومن حولها منخفضات تذرية تعرف محلياً بالنقر جمع نقرة أو الخبوب جمع خب. وإلى الغرب من نهاية نُفُود السِّر يقع عرق

عريق الطرفية – القصيم

الدُّغَيْبِيس الذي يتجه من الشرق للغرب إلى شمال شرق مدينة القُوَيْعيَّة بنحو ١١كم. وطوله حوالي ٢٠كم أما عرضه فلا يتجاوز كيلومترين، وهو من العُرُوق الرملية الناشئة الحديثة الترسيب. وأهم منه العرق الذي يقع جنوب نهاية نُفُود السِّر بنحو ١٢كم فقط، وهو عرق الخَبْرَاء. وأهميته تنبع من أنه يتجه نحو الجنوب الشرقي ويتصل بنفود قُنَيْفِذَة، وهو يمتد لمسافة ٤٢كم. ومتى ما اتصل نُفُود السِّر بعرق الخَبْرَاء فإنه سيكون تلقائياً ذا اتصال بنُفُود قُنَيْفِذَة، ويتبقى فقط نحو ٦٠كم لكي يتصل هذان البحران من الرمال بنفوذ الدِّحِي وتتشكل من خلال ذلك الدَّهْنَاء الجديدة التي سبق الإشارة إليها. ويتميز نُفُود السِّر بالتجمعات الرملية الضخمة التي يمكن أن تسمى بالجبال الرملية؛ وهي أكوام رملية كبيرة قد تعلو قممها من ٥٠ إلى ٣٠٠م فوق السطح الذي تراكمت عليه، وكثيراً ما يوجد على ظهورها أشكال من الطعوس التي تتألف من أنواع شتَّى من الكثبان الهلالية. إضافة إلى كثبان طولية وعُرُوق رملية خاصةً كلما اتجهنا نحو الجنوب.

وإلى الشرق والشمال الشرقي من حافة الأسياح والشماسية وصفراء الأسْيَاح وصفراء المِسْتِوي، تتراكم إرسابات رملية هائلة تتكون من نفود المَظْهُور، أو عرق المَظْهُور، ونفود الثُّوَيْرَات الذي يتحول اسمه بعد دائرة العرض ٢٧َ ٢٥ْ شمالاً عند رمحين أشيقر إلى عُرَيق البُلْدَان الذي يستمر في الاتجاه من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي وينتهي عند دائرة العرض ٠٠َ ٢٥ْ شمالاً. كما نجد هناك كثباناً رملية أخرى بصدد الامتداد والاتصال مع الكثبان الرملية الكبيرة؛ ومثال ذلك نفود المَلْحَاء في جنوب صفراء المِسْتِوي ويتصل بنفود السِّر عبر عُرُوق المَواصِل، ونفود قُنَيْفِذَة إلى الشرق من جِلْه العِشَار وهو يستمر في اتجاهه نحو الجنوب الشرقي حتى جنوب المزاحمية تقريباً إذ إن نهايته الجنوبية الشرقية غير واضحة فهو في تمدد مستمر. ويقع إلى الغرب من جبال طُوَيْق جنوب وادي بِرْك نُفُود الدِّحِي الذي يمتد جنوباً حتى قرب وادي الدَّوَاسِر. ولأهمية هذه المساحات الرملية الواسعة فسوف نستعرضها بالتفصيل فيما يلي:

فنفود المَظْهُور لا يفصله عن رمال صحراء النفود التي ينبثق منها نحو الجنوب الشرقي فاصل تضريسي. وبما أن المصادر العلمية لم تحدد بدايته بدقة فالأرجح أن يكون الحد الذي يبدأ منه

نفود المظهور

نفود المَـظْهُور هو خط الـطول ٣٠َ ٤٢ْ شرقاً، وهو الحد الذي تبدأ منه صحراء الدَّهْنَاء، خلافاً لمعظم من كتبوا عنها ممن يجعلون بـدايتها من عند درب زبيـدة. والسـبب في ترجـيح هذا الحد هـو أن صحراء النفود الكبير تسـتمر في الاتجاه شرقاً في تَجُمُّعٍ هائل من الرمال، حتى إذا وصلت إلى خط الطول هذا انقسمت إلى قسمين: قسم شمـالي هي صحراء الدَّهْنَاء، وقسم جنوبي هو نفود المَظْهُور. وتفصل بينهما هضبة التَيْسِيَّة التي تنتهي من الناحية الـغربية عند خـط الطـــول ٣٠َ ٤٢ْ شرقاً.

ويمتد نفود المَظْهُور من بدايته حتى نهايته بطول عروق السَّـيَّاريَّات، حيث يبدأ نفود الثُّوَيْرَات عند خط الطول ٣٠َ ٤٤ْ شرقاً ودرجة العرض ٠٠َ ٢٧ْ شمالاً نحو ٢٤٦كم، وعرضه ما بين ٦٠كم عند بدايته و٤٥كم في منتصفه ونهايته. وتسود في نفود المَظْهُور الكثبان الطولية مثالية الشكل التي تكَّونت على الأرجح في ظـل نظام ريـحي ثنائـي الاتجاه، جنوبي غـربي وشمالي غربـي. وهي تسمَّى بالعروق لأنـها تمتد متوازية من الشمال الغربي إلـى الجنوب الشرقي. ويفصل بين هذه العُرُوق شقائق تسمى خبب أو خبـوب جمع خِبّ. والخب هو فجوة واسـعة بين العُرُوق الرمـلية وتحتوي عادة على كثبان رمـلية هلالية متحركة. وهناك عرقان يحتفظان بالاسم

طعوس الحنانين بالتيسية

نفسه على طول نفود المَظْهُور، هما عرق المَظْهُور في شمال النفود، وعرق لَزَّام في وسط نفود المَظْهُور. وعند دائرة العرض ٢٧ ْ٤٠ َ شمالاً أمام قرية المهينية والهمجة يصبح تتابع العُرُوق كالتالي: عرق الأبَيْتِر ووراءه خب الحسك، ثم عرق الأشْعَلِي، ثم عرق جَدْعَان، ووراءه عرق لَزَّام، فعرق المَظْهُور. وأمام قرية أبا الدود إلى الشمال الشرقي من تقاطع دائرة العرض ٢٧ ْ٠٠ َ شمالاً وخط الطول ٤٤ ْ٠٠ َ شرقاً بنحو ٦كم يصبح تتابع العُرُوق أكثر انتظاماً إذ نجد خمسة عُرُوق رئيسية تسيطر على المظهر الطبيعي في هذا الجزء من نفود المَظْهُور. وهي من الجنوب إلى الشمال: عرق غَشَّام، وعرق الأشْعَلِي وعرق لَزَّام، ثم عرق المَظْهُور.

وقد وصفها أمين الريحاني في كتابه ملوك العرب فقال «إن العروض (يقصد العُرُوق) أي النفود الكبرى بين الأسْيَاح وقباء (قِبَة) هي عدة جبال من الرمال تمتد طولاً من الشمال إلى الجنوب، وعرضاً من الغرب إلى الشرق. وهي تدعى دعوصا (طعوساً)، علو الدعص يتراوح بين الخمسمائة والسبعمائة قدم، وبين كل دعص وآخر نحو أربعة أميال نزولاً وصعوداً. أحد عشر دعصاً هي، بل إحدى عشرة كربة، كل واحدة أشد من الأخرى. هناك أفقٌ أمامنا يعلوه أفقان أو رأسا دعصين بعيدين. وفي كل أفق

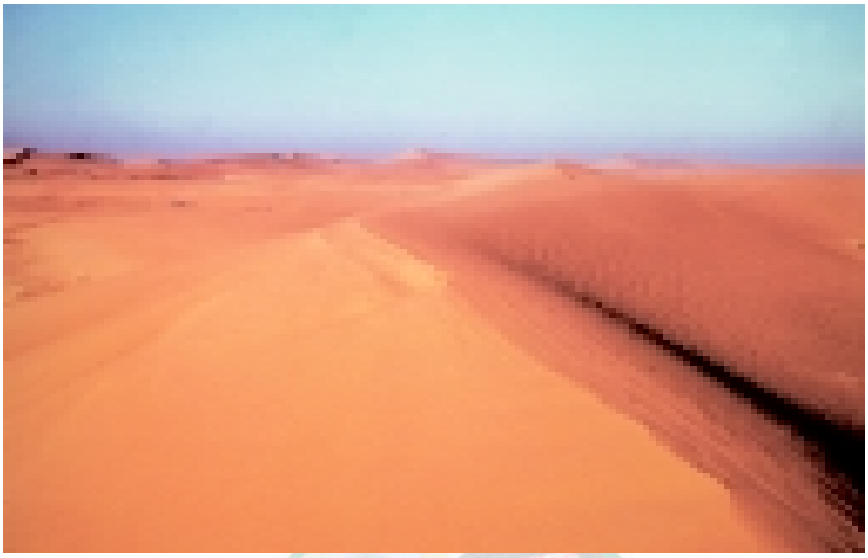

كثبان طولية في نفود المظهور

رسول من الذهب الوهَّاج يدعونا لنعيم الخيال، بل لخيال النعيم.

ما أجمل ذهب النفود في الشروق وفي الغروب، بل ما أجمل أرجوانه إذا مال الظل وتعرض في الأصيل. وما أبهج ليل النُفُود وقد افترشت رملاً ناعماً كالحرير، وآخيت نجماً دانياً في نوره منك، كأنه يهمس في أذنك كلمات السكينة والحب والسلام. وما أروع أشكال الرمال وقد كونت أهراماً وقباباً وفيها أمثلة الصراط، وقد شحذتها الرياح فأمست كحد السيف. إن أصعب السير على الرّكْب والركائب هو السير في العروض (العُرُوق)، ولا أثر البتة لطريق فيها، ولا مهرب من أمواج رمالها.

تصعد الذلول في الدعص إلى رأسه وهي تترنح فتغوص حتى الرسغ، فتجيء الخطوة الواحدة وفيها قد بذل جهد عشر خطوات، فتئن حتى الرحال من شدة الحال. أما في النزول، فتتقم من الدعص الذلول، فتروح هاوية غاوية، وهي تغوص في الرمل حتى الركاب. فتجيء الخطوة مقدار خمس خطوات، وفي كل منها للراكب خمس نكبات. زد على ذلك أن الدليل المطيري كان يعبر المنحدر في خط مستقيم دائماً، فلا يهمه الرفيق المحموم، فتتبعه الركائب غائرة متدهورة إذا لم يكبح جماحها. وكيف يقوى على كبح جماح ذلوله من كبحت جماحه الحمَّى.

خبة في نفود المظهور (طعوس الجن)

الماء معنا لا يكفي إلا أياماً معدودة. فإذا أنخنا كل مرة شرفتنا الحمَّى لنجاملها حتى تـزول، ينفد ماؤنـا قبل أن نجتاز نصف الطريق. ولا ماء إلا فـي الحفر! (حفر البَاطِن) اركب يارجل وتوكل على الله. لا أظنني توكلـت في تلك المحنة الفريدة على غير الله. بل كنت أحس، أستغفرك ربي، أنك، وإن كانت الحمَّى رديفي، راكب أمامي قابض على زمـام الذلول وزمامي.

يـاذلولـي حجـيلـه ذلول ابـن عيـد
قـربتـي قـطـرت والمعـشـى بعـيـد

وما كان أبعده في أيام النـفود، في ذلك البحر الرملي الذي تعالت أمواجه جبالاً وهبطت جباله أمواجاً، فضاق في اجتيازه حتى صدر الدليـل المطيري. ما كنت أظن ونـحن نخوض عبابـه أن له نهاية تنتهي عندها الشدة والعذاب. ولكن الدليل عندما أطللنا على الأفق الأعلى، فاه بكلمة كانت الوحيدة التي أبهجتني: هناك ظهر العروض (العُرُوق) ومنه نعاين الدَّهْنَاء.

ظهر العروض (العُرُوق)، آخر ضلع من ضـلوع الأسْيَاح آخـر دعص من النفود. آخر درجة من سلم التعذيب- شكرنا الـله ثم شكرنا الـله- وعندما أطللنا على الدَّهْنَاء تنفس الرَّبع كـلهم الصعداء وأمـر هذلول بالتكبـير: كبِّر

يابداَّح. فراح بدَّاح يـدرهم ويصيح: الله أكـبر! الله أكـبر! وكانت سـاعة الغروب فأنخنا فوق السهل الذي يمتد بين الـعروض (الـعُرُوق) والـدَّهْنَـاء» (الريحاني ١٩٢٤: ٦١٦-٦١٧).

أما نفود الثُّويْرَات وعُـرَيق البُلْدَان، فيبدآن بعد نهاية نفود المَظْهُور حيث يبلغ طوله ٢٥٠كم، منها ١٢٦كم يمثلها نفود عُرَيق الـبُلْدَان الذي يـطلق على الجـزء الجنوبي من نـفود الثُّويْرَات، ابتداء من درب أبا الصلابيخ المسفلت الذي يربط بين حـمادة الغاط وأم حَـزْم عند دائرة العرض ٥٠َ ٢٥ْ شمالاً. ويتناقص عرض نفود الثُّويْرَات باطراد نحو الجنوب، فيبلغ أقصى عرض له ٧٠كم في الشمال عند دائرة العرض ٥٠َ ٢٦ْ شمالاً، ويـضيق عند مدينة الزلفي إلى ٢٢كم، ويستـمر نحو الجنـوب بعرض لا يزيد متوسـطه عن ١٠كم فـقط. وأقل عرض لـنفود الثُّويْـرَات وامتداده عُرَيق الـبُلْدَان، هو كيلومترين فقط إلى الشمال الشرقي من مدينة أشيقر بنحو ٦كم.

ويقع نفـود المَلْحَاء بين نفود عُـرَيق البُلْدَان من الشرق ونفود السِّر من الغرب، إلى الشمال من طريق شقراء-الدوادمي المسفلت بنحو ٧كم. وهو من التجمعات

نفود الثويرات

الرملية الصغيرة نسبياً على الرغم من أن تكونه قد تم في الزمن الذي تكونت فيه الرمال الكبيرة إلى شرقه وغربه، استقراء من حجم الكثبان الرملية القبابية وتطورها. وهو يتصل بنفود السِّر عن طريق نفود المَواصِل الذي ربما كان يشغل مجرى وادٍ قديم. وعن طريق هذا النفود يتم تغذية نفود المَلْحَاء بالرمال من نفود السِّر. ويبلغ طول نفود المَلْحَاء ٦٠كم، وعرضه ما بين ١٢كم في الوسط، و٨كم في الشمال، ويضيق نفود المَلْحَاء عند الاتجاه نحو الجنوب حيث لا يتجاوز عرضه ٣كم عند نهايته الجنوبية. ولا تختلف أنواع الكثبان الرملية في نفود المَلْحَاء عما هو موجود في نفود السِّر أو نفود عُرَيق البُلْدَان، وذلك لتشابه نظام الرياح السائد.

ويقع إلى الشرق من نفود السِّر نفود قُنَيْفِذَة. ويمتد من عند فياض المُغَر، عند دائرة العرض ٦ ْ ٢٥ شمالاً إلى الجنوب من خط الرِّيَاض-جِدَّة القديم بنحو ١٠كم. وهو يمتد نحو الجنوب الشرقي لمسافة ١٥٠كم. وعند دائرة العرض ٠ ْ ٤٦ شرقاً يمتد منه لسان نحو الجنوب لمسافة ٧٥كم حتى مزارع المَجْذميَّة، وهناك يتصل به عرق الخَبْرَاء. ويمتد منه لسان قبل ذلك هو عرق اللسيِّن يتجه نحو الشمال الشرقي متتبعاً منخفضاً سببه

نفود قنيفذة

بحيرة الخرارة في نفود قنيفذة

أخدود نِسَاح وتشغله بعض الأودية والشعاب. وأنواع الكثبان بنفود قُنَيْفِذَة معظمها كثبان رملية قبابية، ولكن توجد بعض الكثبان الطولية والعروق في شمال النفود.

ويقع إلى الجنوب من نفود قُنَيْفِذَة نفود الدِّحِي، بنحو ٦٠كم فقط. وهو يبدأ من أمام فريدة الهَيِّرة جنوب حفائر ابن ردعان عند دائرة العرض ١٢َ ٢٣ْ شمالاً، ويحاذي حافة جبال طُوَيْق جنوب وادي بِرْك لمسافة ٢١٦كم حتى مشاش عَسْعَس، التي تقع شمال دائرة العرض ٣٠َ ٢١ْ شمالاً بنحو ٦كم. ويتزايد عرض نفود الدِّحِي كلما اتجهنا جنوباً، فهو يتراوح ما بين ٦ إلى ١٢كم في نصفه الشمالي، و٣٨ إلى ٤٢كم في نصفه الجنوبي. علماً بأنه يضيق أحياناً إلى كيلومترين فقط كما حدث عند مشاش المليح عند دائرة العرض ٣٨َ ٢١ْ شمالاً. ومعظم أنواع الكثبان الرملية في نفود الدِّحِي هي من نوع العُرُوق الطولية التي تتجه من الشمال الشرقي نحو الجنوب الغربي، ومنها على سبيل المثال عرق الطَّلْحَات وإلى جنوبه عرق مُرَيْصِيص، وعرق مُرَيْخَة، وعرق رَمْلان، وعرق أبو عشَرَة، وعرق غُضَي،

وعرق الحِنْتُوشِي، وعرق عَيْرَان، وعرق العَسْعَسِيَّة، وعرق عَسْعَس. وبعض الكثبان القبابية القليلة، مثل زبائر الرُّوشَن في أقصى شمال نفود الدِّحِي، وزبائر الحِفْنَة في وسطه، وزبارة دِحِي في جنوبه. ولا توجد هذه الزبائر إلا في طرفه الغربي.

وإلى الجنوب من نفود الدِّحِي منطقة رملية ناشئة تقع ما بين عِرْق الوَادِي في الجنوب ونفود الدِّحِي في الشمال، وفي حال نموها شمالاً أو جنوباً، أو تَقدُّم نفود الدِّحِي نحو الجنوب فسيتم اتصال نفود الدِّحِي بعرق الوادي الذي يتصل بالرُّبْع الخَالِي. ومن ثم تكتمل صلة الدَّهْنَاء الجديدة التي افترضنا أنها في حالة تكُّون. وهذه المنطقة الرملية يبلغ طولها ٤٠كم وعرضها ما بين ٤ و ١٠كم، وبها عُرُوق طولية هي: عريق مُرَّان، وعريق الدُّفُوف، وعريق الحَرْمَل. وليس هناك اسم جامع لهذه الرمال، ويمكن إطلاق اسم نفود الجَبْهَة عليها لأنها نشأت في منطقة الجَبْهَة التي تقع إلى الغرب من حافة جبال طُوَيْق.

وتغطي الصحاري الرملية نصف المنطقة الرسوبية بالمملكة العربية السعودية، أو ثلث مساحة شبه الجزيرة العربية، وهي تشمل ٧٨٠,٠٠٠كم٢ تقريباً. ويقع حوالي ٩٠٪ من هذه الرمال في ثلاثة بحار رئيسية هي: صحراء النفود، والدَّهْنَاء، وصحراء الرُّبْع الخَالِي. وهذه الصحاري الرملية من أبرز ملامح شبه الجزيرة العربية ومن أهم تشكلاتها الأرضية.

النفود الكبير. النفود هو الرمل المتراكم ويجمع على نِفْد ونِفْدَان، وتصغيره نُفَيِّد وهو استعمالٌ شائع في المملكة. لا نجده في المعاجم المعروفة. يطلق المعاصرون كلمة النُّفُوْد على كثبان الرمال المتراكمة فيقولون: نُفُوْد الدَّهْنَاء، ونُفُوْد السِّر، ونُفُوْد البَتْرَاء، والنُّفُوْد الكَبِيْر، ويقصدون بالأخير ما يسمَّى قديماً رِمَالُ عَالِج. والعالج هو المتراكم من الرمل المتداخل بعضه في بعض. وتقع صحراء النفود الكبير في الجزء الشمالي من المملكة بين منطقة حَائل من الجنوب أو دائرة العرض ٢٧ َ٠٥ْ شمالاً، ومنطقة الجَوْف أو دائرة العرض ٢٩ َ٤٠ْ شمالاً. وهذا التحديد يغفل التجمعات الرملية الصغيرة المنعزلة عن النفود الكبير، الموجودة في منطقتي حَائل والجوف. أما حد النفود من الغرب فهو خط الطول ٣٨ َ٢٥ْ شرقاً. ويمثل آخر ما وصل إليه اللسان الممتد من النفود نحو الشمال الغربي المسَّمى

النفود الكبير

بالعُرَيْق، وينتهي عند وادي فَجْر. وإلى الجنوب من ذلك نجد منطقة حفرة الطُّفَيْحَة والخُنْفَة، وهي مناطق خالية تقريباً من الرمال المتصلة مع النفود سوى بعض الطعوس والتجمعات الرملية التي تخفي معالم سطح الأرض الأصلية. ولهذا يشق وادي نَيَّال طريقه عبر المنطقة مُشَرِّقاً حتى يصل إلى قرية العَسَّافِيَّة، ثم يتجه بعدها شمالاً حتى يصل إلى نُفُود العُرَيْق. وإلى الشمال الشرقي من الخُنْفَة هناك ما يعرف بلُغْف النفود وهي منطقة خالية تقريباً من الرمل ويمكن الوصول إليها بالسيارة بسهولة. أما حد النفود الكبير من الشرق فهو خط الطول ٣٠ َ ٤٢ ْ شرقاً وهو الحد الذي تبدأ منه رمال الدَّهْنَاء ونُفُود المَظْهُور، وقد سبق ذكر سبب ترجيح هذا الحد على غيره عند الحديث عن بداية نفود المَظْهُور.

ويختلف هذا التحديد عمَّا ذكره القدماء بشأن هذا الإقليم الرملي. فقد ذكر أبو زياد الكلابي أن رمل عالج يصل إلى الدهناء، وينقطع طرفه من دون الحجاز: حجاز وادي القرى وتيماء، فأما حيث تَوَاصَل هو وجبال الدهناء فبزَرُود (البكري ١٩٤٥، ج٣: ٩١٣-٩١٤). وقال أبو عبيد الله السكوني: عالج رمل بين فَيْد والقريات. ينزلها بنو بُحْتُر من طيّىء. وهي متصلة بالثَّعلبية على طريق مكة، لا ماء بها،

ولا يقدر أحد عليهم فيه. وهو مسيرة أربع ليال، وفيه بِرَك إذا سالت الأودية امتلأت. وذهب بعضهم إلى أنه متصل بِوَبار، مثلما جاء في معجم البلدان. وتقع فيد شرقي جبل سلمى الواقع جنوب النفود الكبير، أما القريات فهي دومة الجندل وسكاكه والجوف والقارة، الواقعة في منخفض وادي السرحان شمال النفود. ولعل هذه الصلة مع رمل الدهناء هي التي أوحت لبعضهم أن يستنتج أن رمل عالج متصل بوبار، أي برمال الربع الخالي كما تقدم، وخصوصاً أن عروق الدهناء ممتدة بذراع نحو الربع الخالي.

وأقصى امتداد شرقي غربي للنفود الكبير هو ٣٤٢كم، أما اتساعه من الوسط فهو ٢٧٥كم من الشمال نحو الجنوب. ويقل عرض النفود كلما اتجهنا شرقاً، فهو لا يتعدى ١٢٨كم عند نهاية النفود الشرقية. ولذلك فالنفود الكبير يشبه مثلثاً قاعدته في الغرب ورأسه في الشرق. ويمكن تشبيهه باليد العملاقة ذات الأصابع الطويلة التي تشير نحو الغرب (Chapman 1978: 23).

وعلى الرغم من وجود بحار الرمال الضخمة في كثير من الأحواض الطبوغرافية، فإن النفود الكبير يعلو سهلا يكاد يكون مستوياً، ثم ينحدر انحداراً خفيفاً باتجاه الشمال الغربي. وقد لاحظ ذلك بعض الرحَّالة منذ أكثر من مائة عام، وكانوا قد اجتازوا النفود على ظهور الخيل من الَجوْف حتى حَائل. وفي عام ١٩٨٢م قام عالم أمريكي من مصلحة المساحة الجيولوجية الأمريكية باستكمال مسحين طبوغرافيين من الشمال إلى الجنوب، ومن الشرق إلى الغرب عبر النفود الكبير. وأثبت المسحان أن صحراء النفود لا تقع داخل حوض تضاريسي.

الدَّهْنَاء. صحراء رملية تتخذ شكل قوس يمتد نحو ١٢٠٠كم من جنوب شرق النفود إلى شمال الرُّبْع الخَالِي؛ أي من خط الطول ٣٠َ ٤٢ْ شرقاً، وقد سبق أن بينا سبب تفضيل هذه البداية على غيرها وهو درب زبيدة خلافاً لمعظم من كتب عن الدَّهْنَاء. وقد تبين أن خرائط المملكة الحديثة مقاس ١ : ٥٠٠,٠٠٠ تتفق مع هذا الرأي في بداية الدَّهْنَاء. فقد حملت اسم الدَّهْنَاء حتى خب سَحَّاء إلى الشرق مباشرة من خط الطول ٣٠َ ٤٢ْ شرقاً. أما نهايتها الجنوبية فعند دائرة العرض ٥٠َ ٢٠ْ شمالاً واسم الرُّمَيْلَة الذي يطلق على نهايتها الجنوبية

الدهناء

ليس نهاية الدَّهْنَاء وإنما هو اسم محلي يشير إلى قرب اندماج رمال الدَّهْنَاء برمال الرُّبْع الخَالِي. والدليل على ذلك أن المظهر العام لامتداد الدَّهْنَاء لا يتغير بتغير الاسم، فليس هناك سبب تضريسي مقنع يمنع من استمرار الدَّهْنَاء حتى اختلاط رمالها برمال الرُّبْع الخَالِي. وأما عرض الدَّهْنَاء فيختلف من مكان إلى آخر، فمتوسط عرضها شمال وادي البَاطِن هو ٢٠ كم فقط. وأمام وادي البَاطِن ترتبط الدَّهْنَاء مع نُفُود المَظْهُور ونُفُود الثُّويْرَات عبر عُرُوق السَّيَّاريَّات، والسبب في تراكم الرمال في هذه المنطقة هو وجودها بجانب مجرى وادي الرُّمَّة القديم الذي يتميز بخاصتين، هما انخفاضه عما حوله مما سهل ترسيب الرمال، وتوافر مصادر الإرساب مما يحمله الوادي معه من مجاريه العليا. وفي هذه المنطقة يبلغ عرض الدَّهْنَاء حوالي ٦٠كم.

وإلى الشرق من خط الطول ٠٠ ٤٥ْ شرقاً تنقسم الدَّهْنَاء إلى قسمين لمسافة ٧٠كم. وتسمى المنطقة الفاصلة الجَنْدَلِيَّة، وإلى شمالها عريق الدُّحُول وإلى جنوبها عرق جَهَام. والجَنْدَلِيَّة أرض ذات فياض وآبار، ففيها فيضة أم

عروق السياريات

الصَّـعَانِين، وفـيضة أم طُلَـيْحَة وآبـار الحَنْبَـلي، كما يمـر من خلالها طـريق المَجْمَعَة–حفر البَاطِن المزفت. وبعد خط الطول ٤٦ْ شرقاً تبدأ الدَّهْنَاء في الاتساع، فمتوسط عـرضها في هذه المنطقـة هو ٧٥كم، ثم تتناقص كلما اقتربنا من وادي السَّهْبَاء حيث لا يتجاوز عرضهـا هناك ٣٥كم. ويستمر هذا المتوسط حتى قبل نهايتها إذ يعود العرض إلى مثل ما بدأ به، وهو ٢٠كم. وتبدأ الدَّهْنَاء في الاتجاه شرقاً حتى تجتاز درب زبيدة. وعند خط الطول ٣٠ َ٤٣ْ شـرقاً تبدأ فـي الاتجاه نحو الجنوب الشرقـي في قوس منحن مواز للحافات الصخـرية. وعند وادي السَّهْبَاء تتجه نحو الجنوب الغربي حتى نهايتها في الرُّبْع الخَالِي.

والنصوص العربية التي وصلتنا عن الدهناء تفوق كل ما وصلنا عـن الرمال الأخرى. فقد اهتم بهـا الشعراء، ومن ثَمَّ عـلماء الـلغـة وأصحاب المـعاجم الجغرافية لأنها أخصب مراعي العرب، فإذا أخصبت ربعت العرب جمعاء، ومن سكنهـا لم يعرف الحمّى لطيـب تربتها وهـوائـهـا (الأزهـري ١٩٦٤، ج٦: ٢٠٩). ولهذا أكثر الشعراء من ذكرها، فوصفوا رمالها، ونباتها، ومنازل أحبتهم بها. وأكـثر الشعراء وصفـا لها هو ذو الرمة، الذي حفظ في شعره صورة تلك

الرمال وأسماءها المختلفة، فذكر من الرمال والمواضع حُزْوى والزُّرْق ومعقلة والشَّمَالِيل وغيرها.

وقد ذكر العرب عرض الدهناء، فقال البكري عن ابن حبيب: إن عرض الدهناء ثلاث ليال، أي حوالي مائة وخمسين كيلو متراً. وهو هنا يشير إلى ما يقطعه الراكب عَبْر رمل الدهناء في طريق البصرة إلى مكة (البكري ١٩٤٥، ج٢: ٥٥٩). ومن الممكن أن يتضح عرض الدهناء من خلال وصف الحربي للطريق بين البصرة ومكة (الحربي ١٩٦٨: ٥٨٣-٥٨٧)، إذ تبدأ الدهناء للقادم من البصرة عند اليَنْسُوعة، وهي منهل من مناهل الطريق، ويلي الينسوعة بعشرة أميال (أي نحو ١٦,٠٩كم) الخَبْرَاء ثم من ورائها مَسْقَط الرمل، وهو واد في وادي الرمل يأتي من وراء طريق الكوفة ثم يمر إلى طريق البصرة حتى يصير في البحر في بلاد بني سعد بَيْبْرين وأكنافها، ثم إلى السُّمَيْنة. وذكر أن السمينة بين مَصْرَط ومُرْبِخ، ينحدر القادم من أحدهما ويصعد في الآخر بصعوبة شديدة. والأول منها الذي يلي البصرة أصعبها، وهو مصرط، يستعصب فيه الرمل على الجَمَّالين فينزلون أحمالهم عن الجمال. وفي هذا الرمل أكثبة الزُّرق التي استهل بها ذو الرمة ستاً من قصائد ديوانه، فضلاً عن ذكرها في مواضع أخرى منه تزيد على خمسة عشر موضعاً، والتي أشار إليها في قوله:

ألاَ حَيِّيا بِالزُّرقِ دَار مُقَامِ
لِمَيٍّ وإن هَاجَتْ رجِيع سَقَامِي

ثم وراء هذا الرمل الشَّقائق، وهي سبع شقائق تقع بين سبعة أَحْبُل، لكل حبل منها اسم، ولكل شقيقة اسم. وآخر شقيقة منها، مما يلي مكة، المُمْغِرة، وهي أرض حمراء كأنما صبغت بالعصفر، وحجارتها كذلك، تتصل بالحبل الذي يقال له حبل الحاضر من الرمل، وهو آخرها، الذي يشرف على النباج، نباج ابن عامر. ومن وراء حبل الحاضر أَقْواز (كثبان هلالية) صغار يَمنة ويَسرة عن الطريق، والمحجة فيها، أحياناً رمل دعَس، وأحياناً قيعان، منها قاع بولان. وتلك الأقْوَاز والأجَارع ما استوى من الرمل في ارتفاع يمنة الطريق ويسرته، يقال لها القَصَايِم، وهي رمال مستطيلة شبيهة بالعرق أو الحبل من الرمل تنبت الغضا، ثم إلى النِّباج وتسمى اليوم عيون ابن فهيد والأسياح وهي قرية صغيرة بها مزارع شمالي شرق بريدة، ومن السُّمينة إلى النِّباج ثلاثة وعشرون ميلاً (٣٧كم).

طريق البصرة إلى مكة تقطعه مجموعة من الحبال أو العروق الرملية غربي عرق المظهور. وتمتد تلك العروق من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي. وتفصل بينها شرائح صلبة من حجر الكلس الرملي، بألوان: أحمر وبني ورمادي وبني فاتح وأصفر، وهي التي سماها الحربي الشقائق. والشُّقة والشَّقِيقة الأرض الصلبة التي تكون بين حبلين من الرمال. وعددها سبع شقائق كلها من التركيب نفسه، ما عدا الشقيقة الأخيرة التي سماها المُمْغرة، ووصف حجارتها وأرضها بالاحمرار، وهو صحيح إذ إن تركيب تلك الشقيقة من حجر الرمل المتكاثف الأشقر اللون. وتوجد على عدة مستويات منه نطق صغيرة من حجر حديدي يتراوح لونه بين الأسود والبني (تريا سي أو جوراسي). ويتراوح طول تلك الشقائق بين ٣٠كم لأطولها و٥كم لأقصرها.

وما نقله ياقوت عن الأزهري في قوله إن الدهناء سبعة أحْبُل في عرضها، بين كل حَبْلين شقيقة يصدق على الجزء الذي أشرنا إليه في وصف الحربي. قال ياقوت: وقال غيره -أي غير الأزهري- إنه إذا كان المُصْعِد بالينسوعة وهو منزل بطريق مكة من البصرة، صَبحت به أقماع الدهناء من جانبه الأيسر (وقد يكون المقصود بالأقماع الكثبان الصغيرة) واتصلت أقماعها بِعُجْمَتها، وتفرع حبالها من عُجمتها (أي ما تراكم منها من الرمل وأشرف على ما حوله). ثم يورد ياقوت وصفاً طريفاً للدهناء فيقول «وقد جعلوا رمل الدهناء بمنزلة البعير، وجعلوا أقماعها التي شخصت من عجمتها نحو الينسوعة ثفناً كَثَفِن البعير (أي ما يقع علي الأرض من أعضائه إذا استناخ)، وهي خمسة أحبل على عدد الثَّفِنات، فالحبل الأعلى منها، الأدنى إلى حَفْر بني سعد -اسمه خُشَاخِش- لكثرة ما يسمع فيه من خَشْخَشة أموالهم، والحبل الثاني يسمى حَمَاطان، والثالث حبل الرَّمث، والرابع مُعَبِّر، والخامس حبل حُزْوَى». ولا يمكن حالياً تحديد هذه الحبال، إلا حبل حُزْوَى، الذي يُرى بالقرب من روضة معقلة. ويقطع الطريق بين معقلة ورماح عدة حبال من الرمل لا علاقة لأسمائها بالأسماء التي ذُكِرَت في نص ياقوت.

كذلك وصف العرب طول الدهناء. قال الأزهري «طول الدهناء من حزن ينسوعة إلى رمل يبرين (الأزهري ١٩٦٤، ج٦: ٢٠٩). ونقل ياقوت

نص الأزهري السابق دون أن يشير إلى زرود الواقعة في الامتداد الشمالي للدهناء. وفي النصوص السابقة ذكر الحربي «مَسْقط الرمل وأنه وادٍ في وادي الرمل يأتي من وراء طريق الكوفة حتى يصب في البحر، في بلاد بني سعد بيبرين وأكنافه (الحربي ١٩٦٨ : ٥٨٣)، بينما وصف ياقوت مسقط الرمل بقوله «مسقط الرَّمل في طريق البصرة بينها وبين النباج، وهو واد يأتي من وراء طريق الكوفة من قبل السماوة، ثم يقطع طريق الكوفة إلى طريق البصرة حتى يصب في البحر في بلاد بني سعد من يبرين. ومن عبارته هذه يمكن القول إنه شبَّه الدهناء بواديين، يتفق أولهما في امتداده مع محاور تكوينات العارض والعَرمة، ويمتد من الشمال من عند بركة العشار التي ينقطع عندها رمل الدهناء شمالاً، حتى يصل إلى المجرى المدفون بوادي الرمة في الموضع الذي سَمَّاه مسَقط الرمل، ثم يستمر مع امتداد محور الدهناء جنوباً حتى يلتقي برمال الربع الخالي أو رمل يبرين. أما الوادي الثاني فيتفق مع امتداد وادي الرمة، وبديهي أن امتداد الرمال في مجرى الوادي جاء تالياً لنشأته، وبتضافر عمليات النحت والإرساب بفعل الرياح ردمت الرمال تلك الفجوة التي حفرها وادي الرمة في تكوينات العارض والعرمة في عصور جيولوجية سابقة، فأصبح المجرى الأدنى من الوادي مغطى بالرمال، وهو ما سَمَّاه الحربي وادي الرَّمل وربما يكون ذلك تحريفاً عن وادي الرمة.

مما تقدم يتضح أن المقصود بالدهناء عند العرب القدامى يشمل المحور الرملي الشرقي الذي يمتد من بركة العشار إلى أن يصل إلى الربع الخالي. كما يشمل الأجزاء التي يمر بها طريق البصرة من وادي الرمة المندفن تحت الرمال، والعروق الرملية التي تصل بينه وبين بئر زَرُود.

والدهناء تتكاوس رمالُها وتتداخل وتمحى شقائقها وتعفى طرقها، فلا يُسار فيها إلا بمعرفة الجهة، ولا يقطعها إلا خِريت ماهر. وحيناً تنقاد حبالُها وتتواكب شقائقها وتبرز أعلامها. وهذا يرجع إلى طبيعة تكوينها ورمالها المتحركة في بعض أجزائها والساكنة في أجزاء أخرى. ولذا تجدهم يتخذون منها مسارات معلومة وطرقاً لاحبة تتحاشى عبور متكاوسها، أضف إلى ذلك أن الدهناء خاليةٌ من المناهل قفرٌ من المياه، فكانت في حقبها الماضية مضيعةٌ مهلكة ابتلعت الكثير وطوتْ في جوفها القوافل والمجتازين. ولهذا قالوا «فلان كالدهناء.

قريبة الثرى بعيدة الماء». يضرب لمن يريك أن خيره قريب وهو أبعدُ من ماء الدهناء.

ولما كانت هجرُ سابقاً هي الممون الرئيسي لنجد بادية وحاضرةً بالميرة والكساء وأكثر مستلزمات الحياة بحكم أنها بلادٌ زراعية تنتج التمور والحبوب. ونحوها، كما أنها بلادٌ صناعية تغزل الصوف والوبر والشعر وتصنعه وتصنع الأدوات الزراعية الأقتاب والرحال. وهي أيضاً باب الجزيرة إلى الهند وجنوب شرق آسيا عن طريق مرفئها المعروف العُقَيْر، لذلك فإن لها طرقاً معروفةً تعبر الدهناء من نَجْد، فكل جهة من جهاتها الممتدة من الشمال إلى الجنوب لها طريق معروف. فالعارض وما صاقبه جنوباً وما فوقه غرباً يسلك أهله طريق مَزَالِيْج الطريق الجنوبية يتزودون بالماء من منهل أبي جِفَان في طرف العرمة الجنوبية ثم لا ماء -أمامهم- دون الأحساء، وفيه كثبٌ وعرة شاقة تجتازها الرواحلُ بصعوبة شديدة، وهي التي عناها محسن الهزاني في تائيته حينما وصف الركب الوهمي الذين حملوا رسالته لصديقه سليمان بن عفالق في الأحساء، هذه الكثب هي مُزْعِلات قال:

يسرحن الصبح من جرعا نعام
والعصير منكّباتٍ مزعلات
والعتيم القابله من غير إين
يشربن بروسهن من ما الصراة

يقصد صراة الأحساء. وسميت مزعلات لأنها تزعل مجتازها أي تغضبه وتحنقه بوعورة اجتيازها.

ومزاليج أيضاً هي التي يقصدها عبيد بن رشيد في قصيدته التي يقول منها:

اقفن بنا مثل القطا مع مزاليق
وصارت توالي كل عشرٍ ثمان

وهي التي يقصدها الرقاص بقوله:

هني من درهمت به فرخة الحره
معط مزاليج والا معطٍ الجودى

ومزاليج هي العلم البارز الذي سمي به حقل النفط الغني الذي كُشف في تلك المنطقة.

يلي مَزَالِيْج من الناحية الشمالية من هذه الطرق طريق مِخْيَط وزان مبرد يسلكه من يفوّز من منهلي سِعْد ورْملان. وسمي مخيطا باسم نقى هنالك في أول الدهناء غربيها سامِق الطول مذروب الرأس كأنه مخيط، وهذا الطريق يلي طريق خُرَيْص شماليه إذا سلكتَه ودخلت الدهناء فالتفت يسارك ترى مِخْيَطاً يسبرك أبرز علم هنالك.

ويلي مِخْيَـطاً من الناحية الشـمالية طريق الظعيني يدخل الدهـناء من تلقاء رملان ويرد منهل جودة، ويليه من الناحية الشمالية طريق الجودي، وسمي بالجودي نسبة إلى مـنهل جودة الذي يمر به هذا الطريق بعد اجتياز الصلـب. وكان هذا المنهل قديماً يسمى يجودة فحـذفت ياؤه أخيراً فصار جودة، وبعد منقطع الرمل من هذا الطريق ممـا يلي الصُّمان كانت هناك شجرة طلح كبيرة تضاف إلى هذا الطريق، فيقال: طلحة الجودي. واياها عنى الخلاوي في وصفه لدحل أبي مروة حيث يقول:

عن طـلحـة الجودى تـواقيـم روحه
وعـليـها شـمالـي النـسور يـغيـب
وعنـها مهـب الهيـف رجمٍ وفيضـه
وحـرورى ان كـان الدلـيـل نجـيب

ويليه من الناحية الشمالية الكنهري من معالم هـذه الطريق الشهيرة، يفوز من رماح ويرد جودة أو الطوال. ويليه من الشمال طريق مغَطْي يفوز من الحفر ويرد الطوال.

ويليه من الشـمال المبيحيص وهو يمر بخبرا الخمة بالصمان بعد أن يجتاز الدهنـاء، ويليه طـريق المنشـرحة فأم الرمم، فالهـبابية فالأجردي، فـطريق حاج البصرة، ثم طريق حاج الكوفة، فطريق لينة، فطريق جبة-الجوف. وكل هذه فـجاج وسبل تجـتاز هذا الـذراع الرملي العظيم الذي يـنطلق من الربع الخالي ويذهب مشملاً فمغرباً، ويكون في نهايته شمالاً رمل عالج أو صحراء الـنفـود الـكبـرى كـمـا يسـمـيهـا المعـاصرون. وهنـاك طريـق مما يلـي الأفلاج جنوب الدهـناء يسمى فليجاً هو طريق الجنوب إلى الأحساء. ودوينه طريـق آخر يقال لـه حوجان يسـلكه المفوز من ماءة وسيع وهو يلب بطريق مزاليج جنوبيه.

والدهناء تعتبر من أخصب مرابع العرب ومراتعهم حتـى أنهم قالوا إذا أخصـبت الدهـناء استـوعبت كـافة العرب، وإذا لم تـخصب فإنهم فـي فقر إلى زيادة إخصاب. ذكر ذلك ابن خميس في حديث طويل جميل ومنه «قال في اللـسان وهي الدهناء سبعـةُ أحبل في عرضها بين كل حبلين شقيقة وطولهـا من حزن ينسوعـة إلى رمل يبرين وهي قليلة الماء كثيرة الكلأ ليس في بـلاد العـرب مربـع مثـلها وإذا أخصبت ربعت العرب جمعاء. وفي حديث صفية ودُحَيْبَة: إنما هذه الدهناء مقيد الجمل هو الموضع المعروف ببلاد تميم».

الغطاء النباتي في الدهناء

ونبـاتات الدهنـاء من الشجـر هي الأرطى، والغضا، والعلندا، والعوسج، والعاذر، والعشر، والثمام، والحمض. ومـن البـقـول والأعـشاب الـثـغام، والخزامـى، والصفـارى، والشقـارى، والصليان، الضمران، العرفج، العلقى، القليقلان، النصى، الحماط، الشرشر، الذعلـوق، الربل، الأرقة، الـرقروق، الغريراء، المكنان، القفعا، الحمبصيص، العضيد، الـرخيم، المكر، الشتيل، أم ثريب، البسبـاس، المسيكة، القرنوى، السبط. وقد ينبت في صرائمها (شققها) ما ينبت في الروض.

وحضـنها الغـربي مستـقر لسيـول الأودية التي تنحدر عليها، فهنالك رياض من أشـهر رياض نجد تمـتد في حضـن الدهناء كروضة التنهاة وخـوابيها تصب فيها أوديـة الشّوكي وروافده، والعـتك وروافده، والـطيري وروافـده. وهناك روضة خريم وخوابيها يصب فيها وادي الثمامة وروافده. وهنالك مرابخ المزيرع ومدافعه يصب فيها وادي الطوقي وروافده الكثيرة، أما مرابخ الدهناء جنوبي خريم فتصب فيها أودية جنوب العرمة المسعودي وأثيـلان والجافـي، وما خلـف طريق خريص جنوباً من المغائض والمرابخ تصب في أودية العرمة الجنوبية عشيران والحلال الجنوبي، والحلال الشمالي وأبو سدير، وغيرها. ورياض البجادية، والـسهباء، والتوضحية أسفل الخرج تصب فيها أودية

العارض كلها: وادي حنيفة وروافده، وأودية علية، ونساح، وبلجان، والعين، وتمير، وماوان، وأثيلان، وأبو سحرا، والسوط، وأودية جنوبي الخرج برك وروافده، والعقيمي وروافده، والثليماء. ومن الشمال أودية نخش العرمة الجنوبية، والترابي والحنية. كل هذه الأودية تستقر في البجادية والتوضحية في حضن الدهناء من تحت الخرج. وهنالك أودية البياض من تحت الأفلاج، وأودية الحرشة كلها تستقر في مرابخ ومدافع في حضن الدهناء الجنوبي تحت الأفلاج، ومن الشمال هنالك روضة حيرْي العصل يصب فيها وادي العصل، وهنالك أيضاً مغائض تصب فيها سيول القرشع، قرشع طاسان، وهكذا. ليس منظر أبدع ولا أمتع من هذه الرياض إذا أخصبت وازدانت وازدهرت وتفتح نوارها وغنت أطيارها. تطل عليها الدهناء بحمرتها الذهبية وتمتد غربها الأودية بطلوحها وغدرها ومحانيها، وتطرق هذا وذلك صبا نجد صباحاً فيفوح عبيرها ويعبق شذاها.

فياسائلي عن نجد او عن رياضه
فديتك هذا بعض ما في ربا نجد

وفي الدهناء أعلامٌ بارزة وصوى مشهورة تغنى بها الشعراء وسرى ذكرها على ألسنة الرواة. واستوعبها السفر والأدلاء وسط هذا البحر من الرمال. بها يعرفون الطرق، ويصفون المنازل، ويحددون الاتجاه وأمكنة الضوال. وقد سبق من ذلك مزاليج ومزعلات. وهناك تل كبير قريب من مزاليج يسمى حومل بارز معروف.

ومن أعلام الدهناء رجم الشويعر علمٌ بارز على طريق مزاليج، يعرفه السفر تمام المعرفة، وفيه يقول ناصر الهزاني يصف ركبا من قصيدة يمدح بها أحمد السديري أمير الأحساء آنذاك:

لهن من ديرة بني زيد مسراح
كرام اللحى ستر البني الطمامح
تموا وهموا لا تهنون بمراح
عسى لكم رجم الشويعر مصابيح

ومن أعلامها أيضاً دليل نقى من أنقية الدهناء البارزة مقابل لمنهل سعد -بكسر السين وإسكان العين فدال- ويضرب بهما المثل في قرب أحدهما من الآخر فيقال «ياقرب سعد من دليل» فالذي على المنهل يشاهد دليلاً، والذي فوق دليل يشاهد من على المنهل، ويقع دليل شمال شرق سعد مخرج السماك الأعزل -النسر- وطريق المنطقة الشرقية -طريق خريص- يأتي من بينهما، وقد أخذ هذا المثل عبدالله بن محمد الصبي

المعروف بمبيلش، فقال من قصيدة حربية يمدح بها الملك عبد العزيز:

لو صلاح الناس في غارب الجوزا بداه
ما يذل من المخاوف ومن ربه ذليل
هو عمود الدين ما شاف من فتق رفاه
كنه المهدي ويا قرب سعد من دليل

ومن أعلامها خُريم -بضم الخاء وفتح الراء فياء ساكنة فميم- من أطول أنقية الدهناء يرى من أمكنة بعيدة، وإليه تضاف الروضة المشهورة من رياض العرمة فيقال روضة خريم، ويقع شرقيها من الدهناء.

ومن الأعلام أيضاً الجلالية زبارة مُتَلَمِّخة كبيرة تقع شرقي بلد رماح بميل قليل إلى الجنوب، وفيها جرت وقعة بين قبيلة الدواسر وقبيلة سبيع، قال فيها شاعر سبيع:

ذيب يالي عوى عند الجلاليه
ابتجح بالعشا من قوم بسام

ومن أعلامها السبية بالسين المفتوحة المشددة والباء المكسورة والياء المكسورة المشددة فهاء مربوطة. زبارة من زبائر الدهناء شرقيها قريبة من حزوى وبها جرت وقعة للإمام تركي بن عبدالله على بني خالد سنة (١٢٤٥هـ) لم تقم بعدها لبني خالد قائمة، ومنها احتل الإمام تركي الأحساء. وهذا اسم السبية من قديم ذكرها غيلان ذو الرمة في شعره قال:

وقد جعلوا السبية عن يمين
مقاد المهر وانتجعوا الرمالا

ومن أعلامها حزوى بضم الحاء وإسكان الزاء فواو مفتوحة فألف مقصورة، زبارة أيضاً من زبائر الدهناء مشهورة في أسفلها مما يلي معقلا علم بارز هنالك، قال عنها الأزهري: هي حبل من حبال الدهناء مررت به. وقال محمد بن إدريس بن أبي حفصة: حزوى من رمال الدهناء. قالت تماضر بنت مسعود أخي ذي الرمة من قصيدة:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلةً
بجمهور حزوى حيث ربتني أهلي
وصوت شمال زعزعت بعد هجعة
ألاء وأسباطاً وأرطى من الحبل
أحب إلينا من صياح دجاجة
وديك وصوت الريح في سعف النخل

وقال أعرابي آخر:

لئن طلن أيام بحزوى لقد أتت
عليّ ليال بالعقيق قصار

وأنشد ابن أبي حفصة لذي الرمة:

خَلِيليّ عُوجَا من صدور الرواحل
بجمهور حزوى فابكيا في المنازل
لعل انحدار الدمع يعقب راحة
إلى القلب أو يشفي نجي البلابل

ومن أعلامها الأعيجم تصغير أعجم حبل بارز يلتقي فيه السروان (مثنى سرو) وهما حبلان من حبال الدهناء. وفي الأعَيْجِم يقول الشاعر نصار السهلي في محبوبته:

صاحبي ما نوى طاري المحدار
راكدٍ والاعيجم مداهيله
صاحبي يحسب ان شدّتي مختار
مقفيٍ بالحسايف وانا اخيله

ونصار هذا هو الذي يقصده الشاعر المعروف دبيان بن عساف بقوله:

صاحبي شد مع ناقلين الكار
مع فريق عليّ ابعدوا داره
مع فريق الجمالين يانصار
من يجيني من العذب باخباره
شبه وضحا زعوجٍ على القهار
في نهار المواريد دجاره
حايلٍ ما بعد عاودت لحوار
من مغاتير الاجواد سنجاره

ومن أعلامها البُرَيْخَا بضم الباء وفتح الزاي وإسكان الياء فخاء مفتوحة فألف. تصغير بَرْخَاء، والتسميةُ تفيدُ الضخامة والبروز. وهذه زبَارة من زبائر الدهناء الكبيرة المطلة على قرشع طاسان ومرتفع الدجاني والقاعية جنوبي نقي الجمل في حومة النقيان، وهي التي ذكرها الشاعر السبيعي أبو ذيب حين قال:

قطعاننا ما رددت بالكداد
تلقى لهن حول البزيخا معازيب
حنا ذيابة مقرعات التوادي
إلى ركبنا فوق عوج المصاليب

ومن أعلامها حَوْمَة النِّقْيَان، أي مجتمع الأنقاء، وفي هذه المنطقة تنبث أنقية الدهناء هنا وهنالك حتى لكأنها خيام ذهبية مبثوثة، وبعضها على مسمى، وله ذكر على ألسنة الرواة، وبعضها نكرةٌ لا يعرف له اسم. فمن المعروفة نقى الجمل وهو من أبرزها وأشهرها، ويقال إنه هو الذي أوصى ذو الرمة أن يدفن فوقه واسمه قديماً الفرنداذ وفي حومة النقيان يقول محمد بن علي بن صقيه أمير حليفة سابقاً:

حموها من الوفرا إلى حومة النقيان
إلى المستوي والسر وطويق يرعونه
مداهيل تلعات المها شرد الغزلان
ثلاثٍ غدن بالزين عن كل مزيونه

ومن أبرزها وأشهرها نَقَى المُطَوَّع، وهو طالب علم من أهل أُشَيْقر بالوشم علق حب فتاة أفضى به إلى الوجد والوله فتزوجها وهي لم تكن من طبقته نسباً على ما درج عليه عرب ذلك الزمان من حماس للنسب يفضي إلى القتل، فكشف أمره وهددته العشيرة بالقتل إذا لم يطلقها فأبى وحملوه معهم في قافلة ذاهبة

للامتيار من إحـدى مدن ساحل الخليج العـربي وقصـدهم اغتـياله إذا وصلـوا الدهناء، وقد عـرف قصدهم، وحينما وصلوا الدهناء وقـد اصطادوا ظبياً أخذ من دمه فنجاناً، وجعل يذيب لواعج حزنه وفيض صبابتـه في شعر يكتبه في ثوبه حتى إذا أفرغها قصيدةً طويلة شاكية باكية أسلم روحه لبارئها فدفن في هذا النقى. يرحمه الله. أما القصيدة فمنها:

الاقفا جـزا الاقفا ولا خيـر في فتى
يـتـبـع هـوى مـن لا يـريـد هـواه
مـن باعـنا بـالهـجر بـعنـاه بالـنيـا
ومن جـذ حبـلي مـا وصلت رشـاه

أخذ هذا المعـنى الشريف بركات، فقال:

قـلتـه عـلى بـيت قـديمٍ سـمعـتـه
على مـثل ما قال التميمي لصاحـبه
إذا الخـل وراك الـصـدود فـوره
صـدود ولو كـانت جـزال وهـايبـه

يقصد بـقول التميمـي «الاقفا جزا الاقفا» في البيتين المتقدمين.

ومن أنقائها أيضاً نقى عَجَاج ونقى المغر ونقى أبي الهول.

ومن أعلامها حرابة بكسر الحاء، وفتح الباء، فتاء مربوطة. نقى طويـل مذروب في نهاية الدهناء من شرق مما يلي الحتايف، يسرى من بعد كأنـه رمح ويعنيه الشاعر المفوه حنيف بن سعيدان في قصيدته التي يمدح بها الدوشان قال منها:

كزوا لهم من عـقب الامطار عساس
وتـباشـروا بالـصـلب كـثر شـرابـه
وقاد السلف واستجنبوا قب الافراس
وحـطوا جـنـيح شـدة مـن حرابـه

ومن أعلامها الدويدات جمع دويد، وهي أنقية حـمر متجاورة علامة فارقة في المنطقة، وهن في موضعين من الدهناء في السرو وفي جهام.

ويسـتطرد ابـن خميـس في وصفه للدهـناء قائلاً: وبالمـناسبة فقـد حدثني أحدهم قال كنت مع ثلاثة من أبناء الملك عبد الـعزيز -رحمـه الله- خرجـوا من مخيمه في خريم للقنص، ولما جاءوا عند الدويدات تعطلت سيارتهم فبعثوا محدثي راجلا للمخيم من أجل اسعافهم، وكانوا آنذاك صغاراً. قال فـوصلت المخيم بعد لأي وتعب ونصب، فوجدت الملك عبد العزيز عـلى أحر من الجمر فاسـتدعاني وأخذ خبري، وقال هل هم في دويدات السرو وإلا في دويدات جهام، قال فبهت لأني لا أعـرف هذه من هذه، فـنهرني فتلعثمـت وقلت فيهن كلهن، فضـحك وانصرف عني وأمر بإسعافهم في الحال. قلت: رحمك الله يا عبد العزيز فقد قتلت أرض الجزيرة معـرفة واستيعابـاً، تجوبها

غازياً أو مسافراً أو متفقداً. حتى عرفتك وعرفتها فلم يخف عليك منها شبر.

ومن أعلامها أيضاً نقى سبيت، وهو أبرز أنقية الدهناء وأشهرها، ولا نعلم من هو سبيت هذا الذي أضيف إليه هذا النقى. وهنالك نقيان بارزان في جنوب الدهناء مما يلي البياض يسميان الخليلين، وآخران شماليهما يسميان قرينات عفر.

ويطول بنا الدرب لو ذهبنا في تعداد أعلام الدهناء وما لها من مناسبات، ولكن يكفي أن نسرد ما تيسر لنا منها سرداً. فمنها: نقى التنهاة، والبدرية، والكناسية وأوتاد، وجو صياح، وجو جهام، والطويسة، وسريهيدة، وأم رقيبة، والسنافية، والكنهري، والهدب وحزوى، وعدامة دغيم، والحصانة، واليتيمة.

ويتخذ العرب الدهناء ملاذاً من الأعداء المغيرين، ينطوون في كثبانها ومتداخلاتها، ويجدون فيها ملجأ يحصنهم من أعدائهم. أغار قوم على آخرين وكان المغار عليهم في الصمان مما يلي الدهناء، وقبل أن يفاجئوا المغار عليهم وجد المغيرون شخصاً فاعتقلوه لئلا ينذر قومه، وبعثوا بعين منهم كأنه ضيف ليستجلي خبر القوم ويكشف عددهم واستعدادهم قبل أن يتنبهوا ليغيروا عليهم. ولما هم هذا العين بالذهاب قال للمعتقل إني ذاهب إلى أهلك ضيفاً فبماذا توصيهم. قال قل لهم: إن الأرض مجرودة فليعروا جملي الأصهب ويركبوا ناقتي الحمراء حتى آتيهم وكان لهم في هذا الرمز أكبر نذير؛ فالجراد هو العدو المغير، والجمل الأصهب هو الصمان، والناقة الحمراء هي الدهناء. فبادروا بركوب الدهناء وأخفق المغيرون مما كادوا أن ينالوه. ولقد تغنى الشعراء بالدهناء وقالوا فيها كثيراً نقتطف من ذلك ما يلي: قال أعشى همدان يصف لصوصاً:

يمرون بالدهنا خفافاً عيابهم
ويرجعن من دارين بجر الحقائب
على حين ألهى الناس جل أمورهم
فندلا رزيق المال ندل الثعالب

وقال أعرابي حبس بحجر اليمامة:

هل الباب مفروج فانظر نظرة
بعين قلت حجراً فطال احتمالها
ألا حبذا الدهنا وطيب ترابها
وأرض خلاء يصدح الليل هامها
ونص المهارى بالعشيات والضحى
إلى بقر وحي العيون كلامها

وقال كثير:

كأن عدولياً زهاء حمولها
غدت ترتمي الدهنا به والدهالك

وقال آخر:

جـازت الـقـور والمخـارم أمّـاً
ثـم مـالـت لجـانـب الـدهـنـاء

وقالت العيوف بنت مسعود أخي ذي الرمة:

خليـلي قُوما فـارفعا الطرف وانـظرا
لـصاحـب شوق مـنظـراً متـراخـيا
عسـى أن نرى والـلـه ما شـاء فاعل
بـأكثـبـة الـدهنـا مـن الحي بـاديـا
وإن حال عرض الرمل والبعد دونهم
فقـد يطلـب الإنسان مـا ليس رائيـا
يرى اللـه أن القلب أضحـى ضميره
لمـا قابـل الـروحاء والـعـرج قالـيا

وقال ذو الرمة:

غـراء آنـسـة تـبـدو بمـعـقـلـة
إلـى سويـقة حـتـى تحضـر الحـفرا
تشـتو إلى عـجمة الدهـنا ومربـعها
روض ينـاصي أعـالي ميـثة الـعفرا

وهكذا يكثرون من ذكرها، ويحنون إلى أجـارعهـا ووعاسـها وشـقائـقها وصـرائمـها (ابـن خـميـس ١٤٠٠، ج١: ٤٣٣-٤٤٦).

وكما سبق القول تتكون الدَّهْنَاء في أغلبها من كثبان طولية متـوازية تسمى عُرُوق، وتتسع المسافات بينـها أكثر مما تتسع في المسافات الموجودة في النفود الكبير. وتمـيل العُرُوق إلى الانعطاف نحو الجنوب الشرقـي استجابة للرياح الشمالية المسماة محلياً الشمال. وعلى الرغم مـن قلة سقـوط الأمطار علـى الدَّهْنَاء فهي مكان مرغوب للرعاة خاصة رعاة الإبل خلال فصلي الشتاء والربيع. قال ياقوت الحموي «الدَّهْنَاء سبعة أحبل في عرضـها بين كل حبـلين شقيقـة، وطولها من حزن نسوعة إلى رمل يَبْرِين. وهي من أكثـر أرض الله كلأ مع قلة الغذاء والماء، وإذا أخصبت الدَّهْنَاء ربَّعت العرب جميعاً لسعتها وكثرة أشجارها». والحبال هي العُـرُوق الرملية، والشقة والشقيقة هي الخـبة أو الأرض الصلبة بين العُرُوق.

وأفضل منطقة لتـتبع هذه العُرُوق والشقائق هي المنطقة الواقعة خلف بلدة رُمَاح عند خط الطول ٤٧° ١٠ْ شرقاً، فمن الجـنوب نحو الشـمال نجد هذه الـعُرُوق: عـرق أبي الـثِّمَـام، عرق الحُمْرَانِي، عرق عِمْر، عرق الرُّوَيْكِب، عرق كَنْهَرَا، عرق جَهَام، عرق القَهَّاب، عرق حِرُوْرِي. ومن الجدير بالذكر أن المناطق الخالية من الرمال بـين العُرُوق لا تسمى في الوقت الحاضر شقائق في الدَّهْنَاء، بل تسـمى خببا مثل خُبَيْب النَّوْم وخِبَّة المُزَيْرِع، ولكن تعبير شقيقة لازال يطلق في الرَّبْع الخَالِي على المناطق الفاصلة بين العُرُوق.

وتفقد عُرُوق الدَّهْنَاء شكلها وامتداداتها المميزة عندما تنعطف نحو الجنوب الغربي بعد عبورها لمنطقة وادي السَّهْبَاء. كما نجد أشكالاً أخرى من الكثبان الرملية غرب درب زبيدة، مثل الكثبان النجمية والمستعرضة ومثلها أيضاً في جزء الدَّهْنَاء جنوب وادي السَّهْبَاء. وبعض الكثبان الهلالية المتحركة من مكان لآخر في الخبب وفوق بعض العُرُوق. وتشكل هذه الكثبان الهلالية أثناء اتصالها فيما بينها الحوائط البرخانية المتميزة التي يتغير شكلها باستمرار مع تغير اتجاه الرياح.

الربع الخالي. وهي أكبر صحراء رملية في العالم أجمع، تمتد على مساحة تزيد على ٦٠٠,٠٠٠كم٢، وطول يقارب ١٢٠٠كم بين خطي الطول ٣٠َ ٤٤ْ و ٠٠َ ٤٧ْ شرقاً، وعرض يقارب ٦٤٠كم بين دائرتي العرض ٠٠َ ١٥ْ و ٠٠َ ٢٣ْ شمالاً. وهو يغطي المساحة بين الإمارات العربية المتحدة وسفوح جبال اليَمَن، ومن هضبة حَضْرَمَوت جنوباً حتى رمال الجَافُورَة ورمال الدَّهْنَاء شمالاً. والأقسام الحالية المتداولة للرُّبْع الخَالِي هي: العُرُوق المُعْتَرِضَة في شرقه، والدِّكَاكَة وعُرُوق المَوَارِد والقَعَامِيَّات في جنوبه، وشُقَّة الخَرِيْطَة ورَمْلَة دَهْم في الجزء الجنوبي الغربي منه، وعُرُوق بني مُعَارِض وبني حُمْرَان وعُرُوق الرُّمَيْلَة وعروق المندفن وخشم خطمة في غربه، والطُّرَاعِيْز

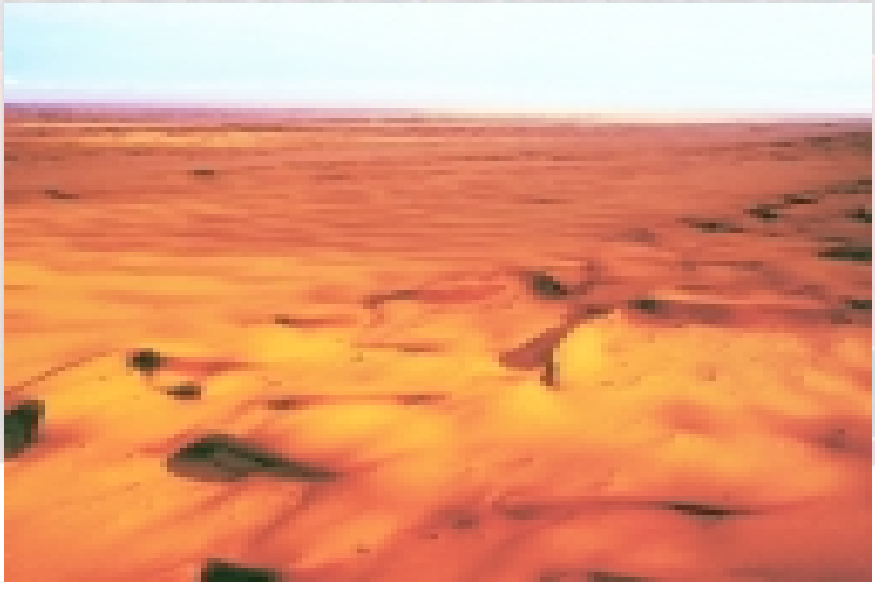

الربع الخالي – بحر من الرمال

العروق المعترضة في الربع الخالي بعد هطول الأمطار

والحِبَاكَة والكُرْسُوع والسَّنَام في الوسط والشمال منه. والسنام الحد المرتفع في التلال الرملية، وإن كان أحدّ وأكثر ارتفاعاً فهو السيف ويطلق على رأس العرق المرتفع الواضح عما حوله الشنصوب.

ويبدو أن سبب تراكم الرمال في الرُّبْع الخَالِي هو أنها حوضٌ ينحدر نحو الشمال الشرقي والشرق بمعدل ١م/ كم. وتأتي الرواسب إلى الرُّبْع الخَالِي من مصادر متنوعة، فالرمال تأتيه من الدرع العربي عن طريق وادي الدَّوَاسِر، ووادي حُبُونَا، ووادي نَجْرَان التي كانت تجري أنهاراً، أضف إلى ذلك الرواسب التي تأتي نتيجة للصرف السطحي من حافة جبال طُوَيْق إلى الجزء الشمالي من الرُّبْع الخَالِي نفسه، الذي يحتوي على صخور فتاتية من الزمن الثالث ضعيفة التماسك. ونجد أن الكثبان النشطة هنا أكبر حجماً وأكثر انتشاراً منها في النفود. ويرجع هذا الفَرْق إلى شدة الرياح المحلية وقسوة الجفاف، وهناك كثبان أشد نشاطاً في الجزء الشمالي من الرُّبْع الخَالِي؛ نظراً لتحركات الرمال المستمرة من الجَافُورَة.

وتأخذ العُرُوق في غرب الرُّبْع الخَالِي أسماء محلية تنسب عادة لاسم من يقطنها من القبائل أو إلى شكل العرق وبيئته. والمثال على ذلك العُرُوق بين دائرتي العرض ٠٠ َ١٨ْ شمالاً و٠٠ َ٢٠ْ شمالاً، وخطي الطول ٠٠ َ٤٥ْ و٠٠ َ٤٨ْ شرقاً فمن الجنوب للشمال في وسط هذه المنطقة نجد: عرق

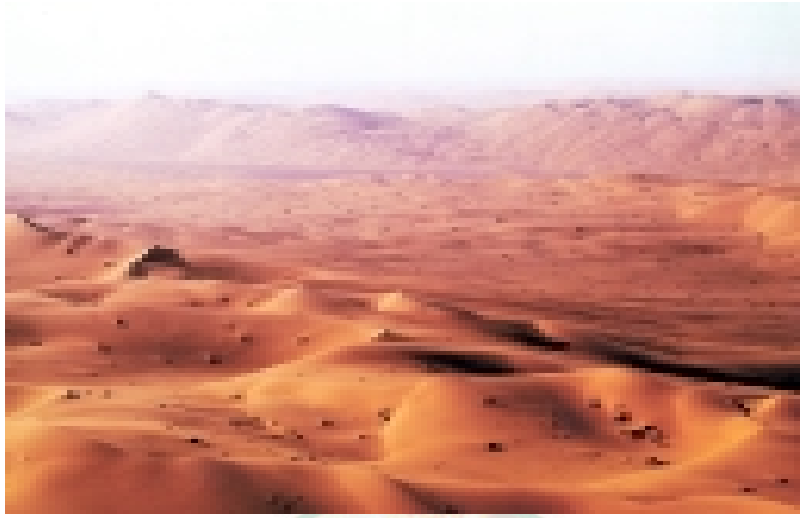

عروق رملية ممتدة، في الربع الخالي

آل قُنَيْبِر، وعُرُوق بني دِلْهَام، وعُرُوق عُبَيْدَان، وعُرُوق حَوْمَل، وعُرُوق بَارك، وعرق مُـنَادي، وعُرُوق أم الـعَلْقَـاء، وعُرُوق المَجَارِي، وعُرُوق أبو دَرَاوِيْز، وعرق المَحْوَى، وعرق دَلِيْل، وعُرُوق بني حُمْرَان، وعرق أبو حَزْم، وعرق مِدْبَاج. وإلى الغـرب من خط الطول ٤٦° ٣٠ْ شرقاً نجد عُرُوق الرَّدْم، وعُرُوق مُسَـلِّي، وعُرُوق الجُـوَيْخَة، وعُـرُوق الغَنَم، وعرق أبو رَقَبَة، وعرق الوَعَد وغيرها كثير. على أن المنطقة المحددة السابقة تحتوي على أقسام رئيسية، بها أسماء لا حصر لها للعُرُوق الصغيرة. ففـي الجنوب الـشرقـي تقع مـنطقـة القَعَامِيَّات، وإلى الشمال منها قليلاً تقع منطقة مُغَدِّرات، وشمال دائرة العرض ١٩° ٠٠ْ شمـالاً تقـع منطـقة عُـرُوق الأوَارك. وفي الجنوب الغربي نجد منطقة عُرُوق المُنْدَفِن. وإلى الشرق من جبال طُوَيْق (العارض) تمتد عُرُوق بني مُعَارِض امتـداداً كبيـراً يحوي أسـماء عـديدة للعُرُوق، مثل: عُرُوق عُشَيْرَان، وعُرُوق بني مُشَـايح وغيرها، وتتـميز منطقـة عُرُوق بـني مُعَارِض بـأسماء محـددة للشقائـق التي تقع بين العُرُوق ومنـها شَقَّة غُرَاب، وشَقَّة أم رُجَيْد، وشَقَّة أم سُدُود، وشَقَّة الزُّقُر، وشَقَّة أم شَجَرَة. على أن تقسيمات الربع الخالي كما يراها سكانـه من أبناء البـادية تختلـف عن تقسيمات الجغرافيين فهم يقسمون الربع الخالي إلى ثلاثة أقسام رئيسية تمتد من الجنوب إلى الشمال هي:

عاصفة رملية ، في الربع الخالي

القسم الأول: وهو الغربي ويمتد من رملة دهم جنوباً وينتهي في الرميلة شمالاً. ومن أجزائه الجلده لا رمال فيه إلا عرق رملي واحد يقسمها إلى نصفين جنوبي وشمالي ويسمى قاسم.

القسم الثاني: وهو الوسط ويمتد كأنه عمود فقري ويبدأ برملة الدكاكة في الجنوب حيث الرمال الوعرة ويتسع شمالاً حيث يسمى رملة الحوايا.

القسم الثالث: وهو القسم الشرقي ويسمى الرملة الحورية وتمتد من جدة الحراسيس جنوباً لتنتهي في رمال الجافورة شمالاً.

ولكل من هذه الأقسام الثلاثة أشكال رملية مختلفة عن القسم الآخر، ففي القسم الغربي تكثر الامتدادات الرملية (العروق) والشقق والخبب ومن أشهرها عروق القعاميات، أبو ذاري، أم الكناور، أمهات مرو، مغدرات، بني مشايح، بني حجاب (بني معارض) الصفية، أم العلقا، المندفن، الأوارك، منادي، أبو زيوت، رمال الفونس ثم السحما فالرميلة.

أما القسم الأوسط فرمال جزئه الجنوبي (رملة الدكاكة) تمتاز بارتفاعها وتداخل رمالها حيث يصعب السير فيها وتكثر في جنوبها الرمال المرتفعة كأنها الجبال المستديرة والتي تعرف باسم العقد

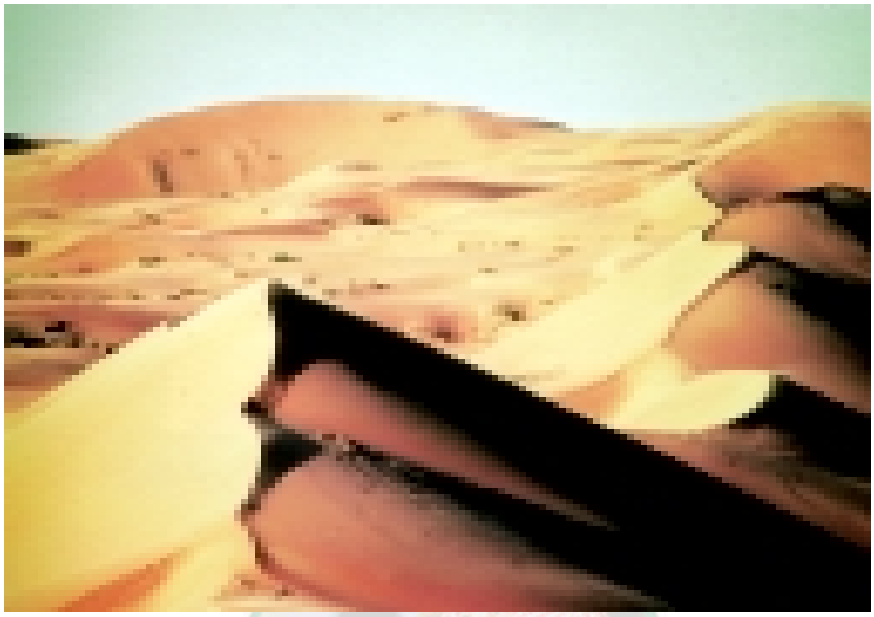

عروق بني معارض – الربع الخالي

أما الجزء الشمالي منها فيعرف برملة الحوايا وهي أقل ارتفاعاً من الجزء الجنوبي ورمالها أقل تداخلاً وصعوبة منه وتكثر فيها الخبب.

أما الجزء الشرقي منها الواقع إلى الشرق من رملة الدكاكة ورملة الحوايا فيتصف بكثرة السباخ الضخمة فيه. وهي مناطق مستوية من الأرض مغطاة بالأملاح، خاصة فيما بين الكثبان الرملية، ومن أهمها سبخة أم السَّمِيْم التي يبلغ طولها نحو ١٠٠كم. وإلى الشرق منها، في منطقة العُرُوق

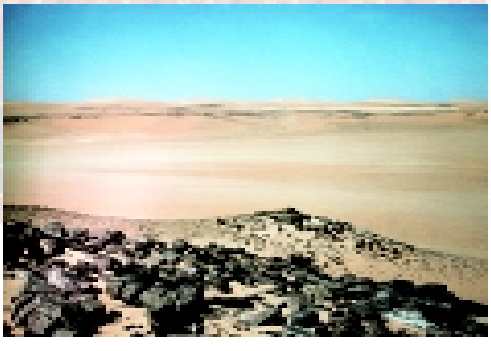

الجلدة بالربع الخالي

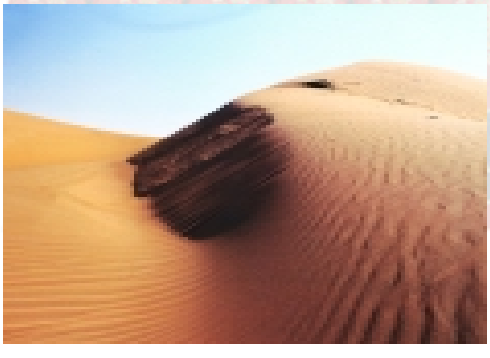

الجلدة بالربع الخالي

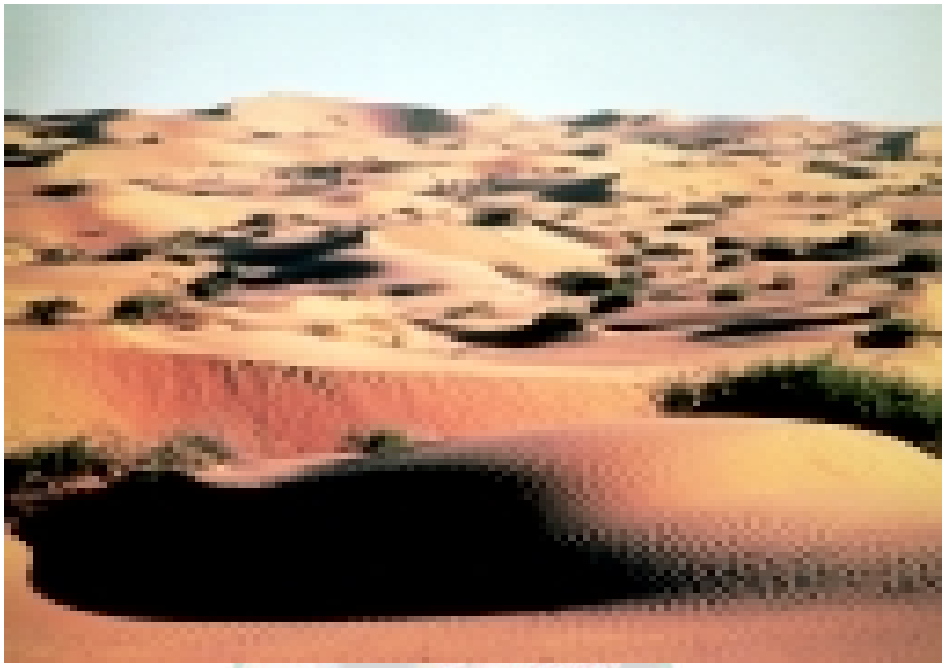

رمال الكدن، شرقي الربع الخالي

المُعْتَرِضَة تكثر هذه السباخ مثل سبخة أبا الرَّوُس.

وتقع رمال الجَافُورَة شرقي هضبة الصُّمَّان وجنوب الهُفُوف بين دائرتي العرض ٢٤ْ ٠٠َ و ٢٧ْ ٠٠َ شمالاً على طول ساحل الخليج العربي. وتكون حزاماً ضيقاً في الشمال غير أنها تجنح إلى الاتساع كلما امتدت جنوباً حتى تندمج مع رمال الرُّبْع الخَالِي. وبسبب اتجاه الرياح الذي يكاد يكون ثابتاً مستمراً، إلى جانب تكرر هبوب الرياح عالية السرعة فإن أنماط الكثبان الشائعة هناك كثبان هلالية مع حوائط برخانية، وبعض الكثبان المعكوسة. وبالإضافة إلى وجود كثبان قبابية وفرشات رملية وسباخ، فإنه يندر وجود الكثبان الطولية. ويختلف ارتفاع الكثبان وأحجامها تبعاً

شقة الغراب في عروق بني معارض

العروق والشقق غرب الربع الخالي (عروق بني معارض)

لاختلاف الرياح المحلية المؤثرة في تشكيلها. وعموماً ليس هناك غطاء نباتي في الكثبان الهلالية والقبابية لحركة الرمال المستمرة فوقها. أما الكثبان المعكوسة فهي عادة ذات غطاء نباتي، ولكن تفوقها الفرشات الرملية بغطائها النباتي الممتاز وليس في السباخ سوى بعض النباتات المقاومة للأملاح حول بعض تجمعات الرمال البسيطة. ولون رمال نفود الجَافُورَة أصفر باهت.

وتقسم المصادر العربية منطقة الربع الخالي إلى عدد من الأجزاء يعرف كل منها باسم خاص. وهذه الأجزاء هي: رمل يبرين الذي يعرف الآن باسم أبو بحر، الذي يطلق على الجزء الشمالي الشرقي من الربع الخالي، نسبة إلى واحة يبرين الواقعة في ذلك الطرف، عند التقاء خط الطول ٤٩ْ شرقاً تقريباً ودائرة العرض ١٥َ ٢٣ْ شمالاً. ويطلق عليه أيضاً رمل بني سعد، نسبة إلى القبيلة التي كانت تسكن تلك المنطقة، وهم بنو سعد بن زيد مناة بن تميم، التي امتدت مواطنها إلى قطر وعمان والساحل الغربي للخليج العربي حتى البصرة (البكري ١٩٤٥، ج١: ٨٨). وقد أطلقت هذه التسمية (رمل يبرين) على

سبخة في الربع الخالي

كل النطاق الرملي الجنوبي المعروف بالربع الخالي. فقد ذكر البكري أن حد اليمن مما يلي المشرق رمل بني سعد الذي يقال له يبرين، وهو منقاد من اليمامة حتى يشرع في البحر بحضرموت (البكري ١٩٤٥، ج١: ١٦). وأكد ذلك ما نقله عن الحربي في تعليقه على حديث النبي ﷺ «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي حتى حاء وحكم»، أنهما حيان باليمن في آخر رمل يبرين وهو على قوله حد اليمن (البكري ١٩٤٥، ج٤: ٣٦٨).

ووَبَار: الذي يطلق على جزء من المنطقة التي شملها التعريف السابق. فقد نقل البكري عن الخليل بن أحمد قوله عن وبار إنها كانت محلة عاد، وهي بين اليمن ورمال يبرين (البكري ١٩٤٥، ج٤: ١٣٦٦). وقال ياقوت الحموي «وفي اليمن أرض وبار، وهي فيما بين نجران وحضرموت، وما بين بلاد مهرة والشحر».

والأحْقَاف: وهي التسمية الوحيدة التي ظهرت على الخرائط القديمة (الإصطخري ١٩٦١: ٢٠، ابن حوقل د.ت.: ٢٨٤)، ولا تزال معروفة حتى اليوم. وتطلق على الجزء الجنوبي من الربع الخالي، خاصة تلك الرمال المتاخمة لبلاد عمان وحضرموت، أي

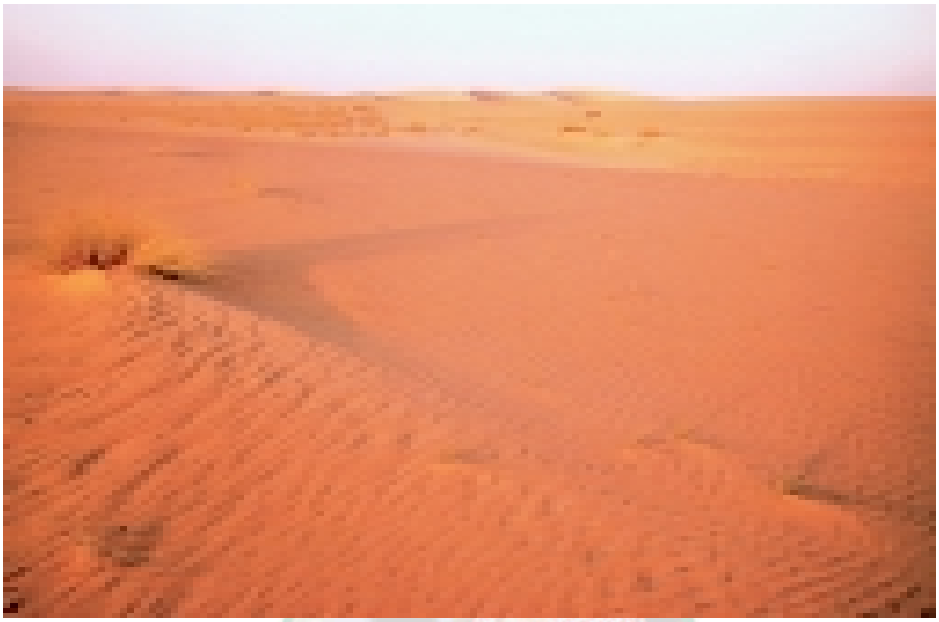

رمال الجافورة

النطاق الجنوبي من الإقليم. وقد أسهب القدماء في بيان موقع الأحقاف لوروده في سورة تحمل الاسم نفسه في الكتاب العزيز، فذكر ياقوت عن ابن عباس أن الأحقاف واد بين عمان وأرض مهرة. وقال ابن اسحق «الأحقاف رمل فيما بين عمان إلى حضرموت». وقال قتادة «الأحقاف رمال مشرفة على البحر بالشحر من أرض اليمن». وعَقّب ياقوت أن هذه الأقوال غير مختلفة في المعنى.

ورمل الجَزْء، الذي يقع بين الشحر ويبرين، وطوله مسيرة شهر، تحله أفناء القبائل من اليمن ومعد، وعامتهم من بني خويلد بن عقيل. سمي بذلك لأن الإبل تجزأ فيه بالكلأ أيام الربيع فلا تَرِدُ الماء (الإسكندري، مخطوط بالمتحف البريطاني: ٤١).

وعلى العكس من الأقاليم الرملية الأخرى، التي لم يترك العرب نَقاً من أنقائها دون أن يذكروه في أشعارهم أو في كتاباتهم، فإن المصادر العربية لم تقدم الصورة المأمولة لهذا الإقليم، إذ جاء فيها أساطير كثيرة لا يُعلم مدى صحتها، فمن ذلك كما جاء في معجم البلدان أن أرض وبار –وتطلق على القسم الغربي من الربع الخالي– كانت أكثر الأرضين خيراً، وأكثرها ضياعاً، وأكثرها مياهاً وشجراً

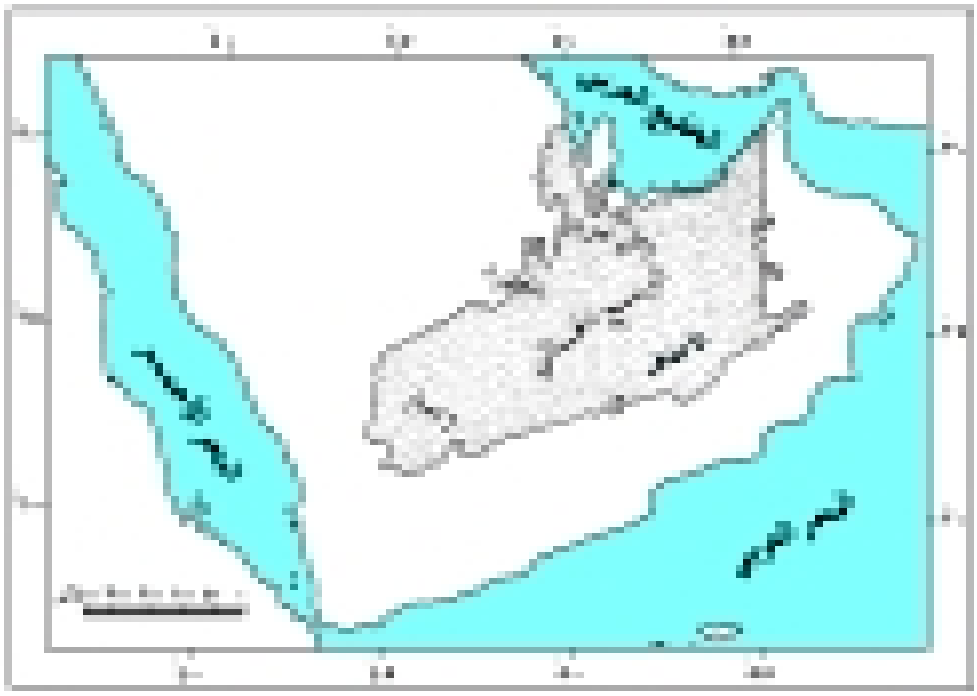

الربع الخالي وأقسامه الجغرافية

وتمراً، فكثرت بها القبائل حتى شحنت بها أرضهم وعظمت أموالهم، فأشروا وبطروا وطغوا، وكانوا قوماً جبابرة ذوي أجسام فلم يعرفوا حق نعم الله عليهم. إلى آخر القصة.

وذكروا أن قرية وبار، وكانت لبني وبار وهم من الأمم الأولى، منقطعة بين رمال بني سعد وبين الشحر ومهرة. ويزعم من أتاها أنهم يهجمون على أرض بها قصور مشيدة ونخل ومياه مطر، وليس بها أحد. ويقال إن سكانها من الجن، لا يدخلها إنسي إلا ضل. وزعموا أن الله تعالى لما أهلك عاداً وثمودَ سكن الجن في منازلهم، وهي أرض وبار، فحمتها من كل من يريدها، وأنها أخصب بلاد الله، وأكثرها شجراً ونخلاً وخيراً، وأعذبها عنباً وتمراً وموزاً، فإن دنا رجل منها عامداً أو غالطاً حثوا عليه التراب، وإن أبى إلا الدخول خيَّلوه، وربما قتلوه. وفي هذا المعنى يقول الفرزدق:

ولقد ضللت أباك يطلب دارما
كضلال ملتمس طريق وبار

ويبدو أن العرب، الذين توغلوا في هذه المنطقة، قد رأوا بعض الأبنية الأثرية، التي مازالت بقاياها تنتشر على هوامش هذا الإقليم بالقرب من وادي الدواسر، وفي واحة يبرين. فكانت هذه الآثار هي الأساس الذي نسجوا حوله تلك الأساطير، إذ ملأها خيالهم بسكان من الجن يعيشون وسط الأنهار التي تجري تحت أشجار النخيل والكروم والموز وغيرها. إلاَّ أن وجود الآثار في هذه المنطقة دليل على سكناها في فترات تاريخية سابقة، وربما توافقت تلك الفترات مع الحضارات الزراعية التي سادت بلاد اليمن في القرون السابقة.

وفي الربع الخالي مصطلحات محلية لسكان هذه المنطقة يطلقونها على المظاهر والأشكال الرملية وقد تطلق أيضاً على نفس الأشكال في المناطق الأخرى منها المطوى وهو كل منخفض مقوس الشكل سواء كان هذا المطوى في ظهر العرق أم في بطن الشقة وتكون رملته عادة لينة وإذا نزل المطر كان أول ما يظهر النبت فيه لدفع الرياح لبذور النباتات لهذه الأماكن المنخفضة، كما أنها تكون أكثر دفئاً. وعادة ما يفضل هواة القنص في الشتاء الإقامة في المطاوي الواسعة في بطن الشقة لأنها أدفأ الأمكنة. ويلاحظ في منطقة الربع الخالي أن رملة الحوايا ورملة الدكاكة ورملة القعد تختلف عن بقية الرمال الأخرى، ذلك أن رملة الحوايا عروق رملية غير مرتفعة متداخلة بعضها ببعض ولكن يلاحظ أن بينها في بعض الأماكن خبب (جمع خبة). أما رملة الدكاكة فهي أكثر وعورة من رملة الحوايا وعروقها مرتفعة متداخلة لا يفصل بين عروقها شيء ولا يمكن اجتيازها إلا من خلال السواريق (مفردها ساروق) وهي أضيق من الفلخ.

أما رملة القعد فبين عروقها شقق (فلوق) إلا أن امتداد العرق الرملي يكون في وسطه تجمع رملي دائري الشكل مرتفع جداً قد لا تستطيع السيارات في كثير منها الوصول إلى رأسها كأنها الجبال المستديرة. هذا في جهتها الغربية، أما في جهتها الشرقية فلا امتدادات رملية موصول بها ويمكن الاستدارة عليها إلا أنها شبيهة بالأولى مرتفعة جداً. وعادة ما يكون في بطون بعض الشقق مناطق تسمى النيسا ترابها كأنه الطحين إذا مشى فيه الرجل غرزت رجلاه إلى الركبة فتتجنبها البادية كما تتجنبها الإبل. أما المناطق الغراز في العروق التي لا تسير معها الإبل والسيارات فتسمى الخفساء أو الرطاقة وعادة ما ينبت فيها نبات

القصباء وتعرفها البادية بهذا الاسم وقد تسمى القصباء نسبة لهذا النبات. والمرثم هو نهاية العرق في الربع الخالي والتي تكون عادة في الجهة الغربية. والجبعور هو بداية العـرق فيه الذي يكون عادة في الجهة الشرقـية، والظهر هو الجهة الشمالية للعرق، والجـهة الجنوبية هي بطن العرق.